الرفـــض

المشكلة والعلاج الإلهي

ديريك برنس

إسـم الكتـاب: الرفض المشكلة والعلاج الإلهي

المـؤلـف: ديريك برنس

النـاشـر: المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية

ت: ٠٢/٢٦٩٠٧٧٥٢ ـ فاكس: ٠٢/٢٦٩٠٧٧٥١

المطبعـة: شركة الطباعة المصرية ت: ٠٢/٤٦١٠٠٥٨٩

التجهيز الفنـي: چي. سي. سنتر للجمع التصويري ت: ٢٦٣٣٧١٢٤

رقـم الإيـداع: ٢٢٠٦١ ـ ٢٠٠٧/١٠/١

الترقيم الدولـي: 977-6194-07-9

برنس، ديريك، الرفض المشكلة والعلاج الإلهي / ديريك برنس .ـ ط ١.ـ

القاهرة: المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية، ٢٠٠٧

٩٦ ص،٢٧ سم تدمك: ٩٧٧ ٦١٩٤ ٠٧ ٩

المحتويات

الفصل الأول: طبيعة الرفض ٧

الفصل الثاني: مصادر الرفض ١٩

الفصل الثالث: الخيانة والخجل ٢٩

الفصل الرابع: نتائج الرفض ٣٥

الفصل الخامس: قمة الرفض ٤٣

الفصل السادس: كيفية استخدام العلاج ٦١

الفصل السابع: القبول وسط شعب اللّـه ٧٣

الفصل الثامن: المحبة الإلهية ٨١

نبذة عن المؤلف

ولد "ديريك برنس" في الهند عام ١٩١٥ من والدين بريطانيين. تعلم اليونانية واللاتينية في اثنتين من أشهر المؤسسات التعليمية في بريطانيا العظمى هما: كلية آيتون وجامعة كامبردج. والتحق بعضوية كلية "kings" للفلسفة القديمة والمعاصرة في الفترة بين (١٩٤٠– ١٩٤٩) في كامبردج. درس اللغات العبرية والآرامية كما يجيد عدداً من اللغات الحديثة .

في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية، وبينما كان يخدم في الفليق الطبي للجيش الملكي البريطاني، تقابل ديريك برنس مع الرب يسوع المسيح فتغيرت حياته، وهو يكتب عن هذا الاختبار قائلاً: "بعد أن تعرفت على المسيح استنتجت حقيقتين، لم أعرف سبباً

واحداً يدعوني إلى التخلي عنهما: (١) إن يسوع المسيح حي. (٢) إن الكتاب المقدس صحيح ومناسب لكل زمان. لقد غيرت هاتان الحقيقتان مسار حياتي كلها بطريقة جذرية، تزوج ديريك برنس من زوجته الأولى "ليديا" وتبنى تسع بنات. وعام ١٩٧٥ رقدت "ليديا" فتزوج ديريك زوجته الحالية "روث" عام ١٩٧٨.

وصل ديريك بأسلوبه اللاطائفي إلى أناس من مختلف الخلفيات العرقية والدينية. وهو معروف كأحد رواد تفسير الكتاب المقدس في العالم. وقد نشر أكثر من ثلاثين كتاباً، ترجم بعضها إلى أكثر من خمسين لغة.

الفصل الأول

طبيعة الرفض

عانى معظمنا من مشاعر الرفض في مرحلة ما من مراحل العمر، لكن الكثيرين منا لم يدركوا طبيعة هذه المشكلة أو يفهموا آثارها. قد يأخذ الإحساس بالرفض شكلاً هامشياً في حياتك، وقد يكون مدمراً جداً، فيمس حياتك بمجملها، ويؤثر في علاقاتك جميعها.

وإليك بعض الأمثلة:

لم يتم اختيارك في منتخب المدرسة الرياضي، أهملك أحد أصدقائك الأعزاء، أو ربما إحدى صديقاتك، من دون إبداء سببٍ لذلك، لم تتمكن من دراسة التخصص الجامعي الذي تريدُ، أُقلت من عملك بلا سبب، لقد "استغنوا عن خدماتك!" أما الأسوأ من هذا كله، فهو الألم الناشئ من أنك

لم تشعر أبداً بمحبة أبيك، أو شعرت بأن أمك لا ترغب بك، أو انتهى زواجك إلى الطلاق.

مثل هذه التجارب وغيرها، تترك جروحاً دائمة في حياتك، سواء أدركتَ ذلك أو لم تدركه. إلا أنني أحمل لك أخباراً سارة! يستطيع اللّـه أن يحررك من جروح الرفض، وأن يعينك على قبول نفسك، وعلى إظهار محبته للآخرين أيضاً. لكن، وقبل أن تتمكن من قبول مساعدة اللّـه، عليك أن تتعرف على طبيعة مشكلتك.

الشعور بالرفض هو الشعور بأن الآخرين لا يريدونك ولا يقبلون بك، أنت ترغب في محبتهم، لكنك متأكد من أنهم لا يحبونك، تريد أن تكون جزءاً من المجموعة، لكنك تشعر بأنك مستثنى دائماً، فكأنك مجرد غريب يراقب من بعيد. **هناك جرحان مرتبطان معاً بقوة في هذا المجال: الخيانة والخجل، ويكون ألم الرفض شديداً جداً أحياناً، حتى أن الذهن يرفض التركيز عليه.**

مع ذلك، فأنت تعرف أن شيئاً خاطئاً يكمن فيك، أعمق من الذهن، أعمق من المنطق، وأعمق من الذاكرة، إنه يكمن في الروح. ويصف سفر الأمثال ذلك قائلاً: **"اَلْقَلْبُ الْفَرْحَانُ يَجْعَلُ الْوَجْهَ طَلِقاً، وَبِحُزْنِ الْقَلْبِ تَنْسَحِقُ الرُّوحُ."** (أمثال ١٥: ١٣).

ويخبرنا الكتاب أيضاً عن تأثير الروح المنسحقة، أو المكسورة، على الإنسان فيقول:

"رُوحُ الإِنْسَانِ تَحْتَمِلُ مَرَضَهُ، أَمَّا الرُّوحُ الْمَكْسُورَةُ فَمَنْ يَحْمِلُهَا؟". (أمثال ١٨: ١٤)

فالروح المفعمة بالحياة والنشاط تساعد الإنسان على تجاوز الصعوبات الكبيرة، أما الروح المكسورة فإنها تدفع بمجالات الحياة جميعها إلى حالة من الركود والشلل.

تعاني مجتمعاتنا اليوم من انهيار متزايد في الروابط الإنسانية بشكل عام، وربما وجدت نفسك في مجتمع مضطرب أو عائلة متحاربة، وحاصرتك نيران المعركة،

وكانت النتيجة إصابتك بجرح الرفض. مع ذلك، فأنا أريدك أن تدرك ضرورة البحث عن الجانب المشرق في اللوحة؛ فلكل ليلية مظلمة فجر.

أعتقد أن الشيطان يعرف مسبقاً أن اللّـه يريد أن يستخدمك، فأراد أن يضرب ضربته أولاً. ألا يتضمن ذلك وجهاً من وجوه المدح والتشجيع؟ هذا يعني أن الشيطان خائف مما يمكن أن تكونه أنت في المسيح؟، فلا تفشل. لقد رأيت بنفسي كثيرين بدأوا من الحضيض، وانتهى بهم الحال إلى الرفعة. ويقول الكاتب:

"... لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ". (لوقا ١٨: ١٤)

في إنجيل متى، كلمات أعتقد أنها تصف مشاعر المسيح من نحوك:

" وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ ..." (متى ٩: ٣٦).

الكلمة اليونانية المترجمة "تحنن" كلمة مذهلة في

قوتها، إنها تتضمن حدوث رد فعل محسوس في جسم الإنسان، يشعر به في أحشائه. وتتزايد حدة هذا الشعور مما يتطلب – بالضرورة – تجاوباً قوياً، فمن تتحرك أحشاؤه بالمحبة والتحنن، لا يمكن أن يراقب معاناة من يحبه ثم يقف مكتوف الأيدي، لكنه يتجاوب ويتحرك. والآن، لماذا تحنن يسوع؟ يقول الكتاب:

"... إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا." (متى ٩: ٣٦).

وقد تصف هذه الكلمات معاناتك تماماً، فأنت تشعر بالانزعاج والسأم والضيق والإحباط والحيرة والخوف والاضطراب منطرحاً تحت أثقال كثيرة، لكن يسوع يراك تماماً كما رأى الجموع من قبل، إنه يتحنن عليك، ويتوق إلى شفاء جروحك القاسية.

الأعراض والجذور

ينبغي أن نفهم أولاً حقيقة مشكلة الرفض ما هو سببها؟ ثم، كيف ينبغي التعامل معها وعلاجها؟

انخرطت عام ١٩٦٤ في خدمة المقيدين بأشكال الإدمان المختلفة، كالمدمنين على الكحول أو النيكوتين. وسرعان ما اكتشفت أن حالات الإدمان تلك، ما هي إلا فروع صغيرة نبتت على غصن كبير، وكان هذا الغصن في العادة نوعاً من الإحباط. لذلك، فالحل العملي هو التعامل مع الغصن نفسه، فعندما يُقطع غصن الإحباط، يسهُل التعامل مع فروع الإدمان.

وبينما تابعت خدمتي ومصارعتي مع مشاكل الناس الشخصية، تدبرت طريقي بالتدريج مروراً بجذع الشجرة، ووصولاً إلى جذورها المخفية تحت التراب، فجذور حياتنا هي المكان الذي يريد اللّـه أن يعمل فيه.

"وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ." (متى ٣: ١٠).

من أين تُقطع الشجرة؟ من أصلها بالطبع، وعندما بلغت أنا إلى أصل الشجرة المطمور تحت التراب، اكتشفت شيئاً أدهشني أول الأمر، وهو أن الرفض هو أحد الجذور الأكثر شيوعاً وهو عامل مشترك في جميع المشاكل الشخصية. لم أتوصل إلى هذا الاستنتاج كعالم اجتماع أو متخصص في علم النفس، بل كمبشر وواعظ.

أرأيت طفلاً يحتضنه أبوه قط، رأسه وجسمه مشدودان إلى صدر أبيه، وتتشبث يده الصغيرة بسترته؟ ربما تحيط به المشاكل والضغوطات من كل جانب، لكنها لا تخيفه أبداً! وجهه ينطق بالأمان، ولم لا، وهو في حضن أبيه؟!

لقد صمم اللّه طبيعة الإنسان بحيث يدخل الطفل إلى هذا العالم وهو يتوق إلى الأمان ويسعى إليه. ولا يمكن لغير المحبة الشخصية المباشرة أن تشبع هذا الاحتياج، أو أن

تملأ هذا الفراغ، خاصة تلك المحبة التي يوفرها الأب، فكل الذين حُرموا من محبة الأب معرضون – بلا استثناء– إلى جرح الرفض. لقد خيَّب جيل كامل من الآباء آمال أطفالهم في العالم، فكانت النتيجة جيلاً من الشباب والشابات، مشكلتهم الأهم والأعمق هي الشعور بالرفض.

بالإضافة إلى هذه الصورة المشوهة لروابط الأولاد بوالديهم، نضع لمحة من إحصائيات العلاقات الزوجية الفاشلة، والتي تشمل اليوم نحو ٥٠٪ من مجموع الزيجات في العالم. ولا يسلم – في الأغلب – أحد الزوجين أو كلاهما من الشعور بالرفض، ناهيك عن الألم الإضافي الذي يرتبط بخيانة الثقة. وعندما نأخذ ما تعانيه مجتمعاتنا اليوم من ضغوطات، خاصة ما يتعلق منها بتحطم الحياة الأسرية، تزداد قناعتي بأن ما يزيد على نصف سكان الكرة الأرضية يعانون من أحد أشكال الشعور بالرفض. ولا شك أن اللَّه قد رأى مسبقاً أزمة الروابط المحطمة التي تميز هذه الأيام الأخيرة، فوعد في (ملاخي ٤: ٥– ٦) قائلاً:

"«هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ».

فاللعن هو ختام النتائج التي يولدها الرفض الناتج عن الروابط المحطمة، أما أولئك الذين يلجأون إلى اللّه من خلال الرب يسوع، فيعدهم اللّه بالشفاء من تلك اللعنة. كيف يكون هذا الشفاء؟ ما هو نقيض الرفض؟ إنه "القبول" بالطبع، وهو تماماً ما يوفره لك اللّه إذ تأتي إليه من خلال يسوع؛ فهو الذي **"... سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ (يسوع)"** (أفسس ١: ٥– ٦)، وتوضح الترجمة التفسيرية – كتاب الحياة – معنى هذا النص بطريقة أقرب إلى الأصل، حيث تضع العدد السادس كما يلي: **"بغرض مدح مجد نعمته، التي بها أعطانا حُظوة لديه في المحبوب."**، **فالعبارة "أعطانا حُظوة لديه"** تعني "أعطانا منزلة رفيعة عنده"

أي أننا صرنا "مقبولين" – accepted" وقد استخدمت العبارة اليونانية نفسها في إنجيل لوقا عن العذراء مريم، وتُرجمت "... **المنُعم عليها،**" أو "... **الممتلئة نعمة**" (الترجمة اليسوعية). فـ "المنُعم عليه" أو من "ينال نعمة" بحسب هذين النصين (أفسس ١: ٦، لوقا ١: ٢٨) هو "**القريب أو الأثير أو المفضل أو المقبول،**" وتؤكد ترجمتي الملك جيمس، والملك جيمس الجديدة على هذه المعاني، فعندما تأتي إلى اللَّـه من خلال يسوع، تصير "**مقبولاً**" عند اللَّـه كيسوع نفسه.

نعم، إنها حقيقة مذهلة بالفعل كما ترى، **فاللَّـه يحبك بالطريقة نفسها التي يحب بها يسوع، لقد أصبحت عضواً في عائلة اللَّـه.**

الخطوة الأولى في الانتصار على مسألة الرفض هي اكتشافها والتعرف عليها، وبعد ذلك يأتي التعامل معها، وسأروي لك قصة قد يساعدك اللَّـه من خلالها على اكتشاف المشكلة والتعرف عليها.

خلال الحرب العالمية الثانية، كنت ملحقاً طبياً في صحراء شمال أفريقيا، وكنت أعمل مع طبيب شديد الذكاء، وحدث أن أسقطت إحدى طائرات العدو قنبلة على مقربة منا، وأصيب أحد جنودنا بشظية. جاء الجندي إلى المركز الصحي، وقد ظهر ذلك الجرح الأسود الغائر على كتفه، وباعتباري ممرضاً نشيطاً لدىّ الرغبة في التعاون وفي عمل ما هو صحيح، قلت للطبيب: "هل أحضر لك ضمادة؟" فقال الطبيب: "لا أحضر المجس (وهو أداه مستديرة ورفيعة لفحص الجرح)." فأعطيته تلك الأداة الفضية الصغيرة، فوضعها في الجرح وبدأ يحركها. في البداية، لم يحدث شيء لكن عندما لامس المِجَس الشظية داخل الكتف أطلق الجندي صيحة ألم عالية، عندها، عرف الطبيب أنه وجد المشكلة.

بعد ذلك، وجدت نفسي أستأذن الطبيب ثانية قائلاً: هل أحضر الضمادة الآن؟" فقال: "لا أحضر الملقط"، فأحضرته، فأدخله في الحرج وسحب الشظية ثم قال: "الآن أعطني ضمادة."، ربما تضع ضمادة صغيرة من

التدين على جرحك، فلا تراه يتماثل إلى الشفاء، فهناك شيء في الداخل يسبب التقيح والالتهاب. لكن إذا لمس مَجس الروح القدس شظيةً في أعماقك، فسيعلن لك جذور المشكلة، وعندما تشعر بالمجس يلمس الشظية في أعماقك، اصرخ، لكن لا تقاوم! بل اطلب من الروح أن يستخدم مِلقطه لكي يزيل المشكلة، وسوف يوفر اللَّـه كل ما تستلزمه عملية الشفاء الحقيقية.

من خلال مواصلة القراءة سوف ترى كيف يمكنك أن تنتقل من الرفض إلى القبول، وكيف تتعامل مع الخيانة والخجل دائماً، وفي الفصل الأخير، ترى كيف تسمح لمحبة اللَّـه بأن تفيض من خلالك على الآخرين.

لقد تعاملت بنفسي مع الكثيرين الذين اكتشفوا جروح الرفض وتعافوا منها بنجاح تام، وتستطيع أنت أن تكون واحداً منهم.

الفصل الثاني

مصادر الرفض

لا تخلو علاقة بشرية من خطر التعرض للرفض، يبدأ الرفض أحياناً في أيام الدراسة، ربما لأنك ترتدي ملابس مستعملة، أو لأنك من أصل عرقي مختلف، أو لأنك مصاب بإعاقة جسدية، فصرت محل استهزاء الآخرين في المدرسة. ينزعج الكثيرون من أولئك الذين يختلفون عنهم، فإذا لم يتمكنوا من التكيف معك، يلجأون إلى رفضك. ويأتي أشد أنواع الرفض تدميراً عندما يتعرض طفلٌ إلى رفض أحد والديه. وهناك ثلاث حالات رئيسية – على الأقل – تؤدي إلى ذلك:

أولاً: عدم الرغبة في الطفل أثناء فترة الحمل، فالأم لا تريد ذلك الطفل الذي تحمله في أحشائها، وربما لا تعبر عن ذلك بالكلام، ولكنها تحمل موقف الرفض في

أعماقها، ربما جاء الحمل من دون زواج، مما يسبب كراهية المرأة لذلك المخلوق الذي سيدخل حياتها جالباً كل أنواع المشاكل معه. مثل ذلك الطفل يمكن أن يولد مقيداً بروح الرفض. لقد اكتشفت شيئاً مدهشاً أثناء خدمتي في الولايات المتحدة، وهو أن مجموعة من الناس، في نفس السن تقريباً، يشتركون في شكل من أشكال هذا الشعور المبكر بالرفض. وعندما تتبعت مصدر ذلك، اكتشفت أنهم ولدوا خلال فترة "الكساد العظيم"* ففهمت أن الأم التي لم تكن تجد ما تسد به رمق أولادها الكثيرين، لم تكن لتحتمل فكرة مجيء طفل آخر. وقد أدى ذلك الموقف إلى جرح طفلها، حتى قبل أن يخرج إلى العالم.

ثانياً: حالة الطفل الذي لم يتمتع بمحبة ظاهرة من والديه. هناك ملصقة لطيفة تقول: "هل احتضنت طفلك

* الكساد العظيم: عانت الولايات المتحدة من فترة ما يسمى بـ "الكساد العظيم" في الأعوام ما بين ١٩٢٩– ١٩٣٩، كانت من أعسر الأزمات الاقتصادية، حيث وصل عدد العاطلين عن العمل إلى ١٥ مليون شخص، وأعلنت ثلث بنوك أمريكا إفلاسها.

اليوم؟" وهو سؤال جيد، **فالطفل الذي لا يُحتضن، يصبح طفلاً مرفوضاً.**

وقد يحب الوالدان الطفل، ولا يعرفان كيف يعبران عن ذلك. تحدثت مؤخراً مع أفراد يقولون: "أعتقد بأن أبي كان يحبني، لكنه لم يعرف أبداً كيف يظهر ذلك، لم يجلسني يوماً على ركبتيه، لم يفعل أبداً ما يشعرني بمحبته." وقد ينشأ الشعور بالرفض بسبب الأم، وفي الحالتين، يفكر الطفل في نفسه قائلاً: "لا أحد يريدني!"

إذا تحدثت اليوم مع كثير من الأطفال الذين يشعرون بالمرارة تجاه والديهم ويتمردون عليهم، تجدهم يقولون لك: "لقد وفر لنا أهلنا الملبس والمأكل والتعليم وأشياء أخرى كثيرة، لكنهم لم يمنحونا وقتهم؛ أعطونا أشياء كثيرة، لكنهم لم يقدموا لنا أنفسهم. وأعتقد أن هذا هو أحد أسباب التمرد الفظيع الذي حدث في الستينيات، عندما ثار الشباب بمرارة ضد من هم أكبر منهم. ذلك كان رد فعلهم تجاه المادية الخالية من الحب. وكان بعض أولئك الشباب

المتمردين ينتمون إلى أسر ثرية وذات مراكز مرموقة، لقد توفر لهم كل شيء ماعدا الحب، وهو ما كانوا في أشد الحاجة إليه.

وقد يعاني من هذا الشكل من أشكال الرفض، طفل لوالدين مطلقين. وعادة ما يُترك مثل ذلك الطفل تحت رعاية أمه، مع أنه كان يتمتع بعلاقة محبة دافئة بأبيه. وفجأة، يختفي الأب الذي ذهب مع "امرأة أخرى،" الأمر الذي يترك فراغاً مؤلماً في قلب الطفل.

أما رد فعل ذلك الطفل فهو محصور ما بين مرارة تجاه أبيه وكراهية تجاه المرأة الأخرى، وما يبقى بعد ذلك هو جرح عميق من الرفض، ولسان حال ذلك الطفل يقول: "لقد تركني الإنسان الذي وثقت به وأحببته أكثر من الكل، لن أثق بأحد فيما بعد."

ويكثر في مثل تلك الحالات أن تعجز الأم أيضاً عن توفير المحبة التي كانت تغمر بها طفلها، وذلك بسبب المسئوليات المتزايدة التي نجمت عن انفصالها عن

زوجها. وفي حالة كهذه، يختبر الطفل شعوراً مزدوجاً بالرفض، أولاً من الأب ثم من الأم.

ثالثاً: قد يتعرض الأطفال في العائلة الواحدة إلى تفاوت في محبة الوالدين، سواء كان ذلك مقصوداً أو غير مقصود. لقد لاحظت أن عائلة بها ثلاثة أطفال، يكون فيها البكر ذكياً ولماحاً، فضلاً عن أنه يتمتع بأولوية طبيعية. أما المولود الثاني فيأتي أقل ذكاءً، ثم يأتي الثالث ذكياً؛ مما يسبب شعوراً بالنقص عند المولود الأوسط بالنسبة إلى أخويه. ويميل الوالدان – بشكل ما – إلى مدح الأكبر أو الأصغر، ولا يقولان الكثير عن الأوسط. ويؤدي هذا الوضع في حالات كثيرة إلى شعور المولود الأوسط بالرفض، فيفكر (أو تفكر) قائلاً: " أبي وأمي يحبان أخي الأكبر، ويحبان أختي الصغرى، لكنهما لا يحباننني."

من ناحية أخرى، وبدلاً من أن يشعر طفلٌ واحدٌ من العائلة بالرفض، قد تجد أن طفلاً واحداً يحظى بنصيب وافر من الحب والاهتمام، يفوق جميع ما يُقدم لإخوته

الآخرين، وليس ذلك من العدل بشيء. ويكفي أن يقارن طفلٌ آخر نفسه بأخيه المفضل أو أخته المفضلة لكي يشعر بالرفض.

أذكر قصة عن أم كان لها ابنتين، وكانت تفضل إحداهما على الأخرى. ويوماً ما، سمعت الأم صوتاً يصدر من غرفة مجاورة، وظنت أنها ابنتها المميزة، فنادت قائلة: "أهذه أنت يا حبيبتي؟" فأجابت الأخرى: " لا، هذه أنا فقط!".

من ذلك الحين، أدركت الأم فداحة تأثير موقفها على ابنتها، حيث كانت تُفضل أختها عليها، فتابت الأم وأخذت تسعى إلى إصلاح الدمار الذي أصاب علاقتها بابنتها.

مثال آخر على إمكانية تكوُّن الشعور بالرفض في مراحل مبكرة جداً، وعن التأثير الروحي الذي يتعرض له الطفل: أقمت قبل سنوات كثيرة بضعة اجتماعات في كنيسة ميامي، وكنت – قبل ذلك – قد زرت سيدة من

أعضاء الكنيسة، وحدث أثناء الزيارة أنني فعلت شيئاً ليس من عادتي، حيث قلت للسيدة: "إن كنت مصيباً فيما أرى، فأنا أعتقد – يا أخت – بأن روح موت يسيطر عليك!"

كان كل ما يجلب السعادة متوفراً لدى تلك السيدة، إلا أنها لم تكن سعيدة أبداً، كان لها زوج صالح وأولاد، إلا أنها كانت بالكاد تبتسم أو تفرح، بل كانت كإنسان يعيش حزناً لا ينتهي. قلت لها – ومن النادر أن أقول مثل ذلك لأحد – ولكنني شعرت بأنني ملزم بذلك، فقلت: "سأعظ في كنيسة ميامي مساء الجمعة، إذا جئت، سأصلي من أجلك."

في بداية الاجتماع، لاحظتها تجلس في الصف الأمامي. ومرة أخرى، فعلت ما لا أفعله عادة، ففي لحظة معينة أثناء الخدمة، مشيت إلى حيث كانت تجلس وقلت: "يا روح الموت، آمرك باسم الرب يسوع أن تجيبني، متى دخلت هذه السيدة؟" فأجاب الروح – لا المرأة – وقال بوضوح: " عندما كان عمرها سنتين." فسألته: "وكيف

كان ذلك؟،فأجاب الروح الثانية: " لقد شعرت بالرفض؛ شعرت أن لا أحد يريدها، شعرت أنها وحيدة."

لقد تحررت تلك السيدة من روح الموت ذلك المساء، لكن الحادثة شغلت فكري لعدة أيام بعد ذلك. لقد حصلت على فهم جديد لأبعاد تأثير الشعور بالرفض على حياة الإنسان، فبجانب أن الشعور بالرفض سيء بحد ذاته، تراه يفتح الباب أيضاً لمزيد من القوى السلبية الشريرة المدمرة، والتي تدخل وتسيطر تدريجياً على حياة الإنسان. الشعور بالرفض هو بالفعل جذر ينبت منه كل ما هو شرير ومؤذٍ.

تعاملت – بعد تلك الحادثة – مع عدة مئات من الذين يحتاجون إلى تحرير بسبب التأثيرات الروحية للرفض.

في حالة السيدة التي ذكرناها، كان الكرب والأسى ظاهرين بوضوح عليها، لكن هذا لا يعني أن الشعور بالرفض يظهر ويُرى بوضوح. يمكن للشعور بالرفض أن يختفي على شكل موقف داخلي غير معلن نحمله معنا

وفينا، فالمشكلة تتعلق بعالم الروح أصلاً. لقد علمتني التجربة أن كل شعور أو موقف أو رد فعل سلبي يرتبط بروح من نوعه، فروح خوفٍ يقبع خلف الخوف، وروح غيرةٍ خلف الغيرة، وروح كراهيةٍ خلف الكراهية.

ولا يعني هذا أن كل من يشعر بالخوف يسكنه روح الخوف، بل يعني أن من لا يضبط نفسه عند الخوف، ويستسلم للخوف باستمرار ومن دون مقاومة، يفتح الباب لإمكانية تدخل روح خوف في حياته. عندها، يفقد الإنسان سيطرته على نفسه في هذا المجال. وهذا ينطبق على المشاعر الأخرى كالغيرة والكراهية، ويكون الشعور بالرفض – في حالات كثيرة – هو المدخل للأرواح الشريرة الأخرى. وقد سبق وذكرنا أن الشعور بالرفض هو الجذر الذي تنمو منه الكثير من المشاعر والمواقف المدمرة.

فيما يلي مثال يوضح المراحل المحتملة لهذه العملية: تشعر فتاة بالرفض من والدها، وتكرهه لكثرة انتقاده لها

وعدم محبته. وتكبر هذه الكراهية وتتعمق إلى الحد الذي لا تستطيع معه السيطرة على شعورها هذا. تتزوج الفتاة وتنجب أولاداً، لتكتشف بعد فترة أنها تكره أحد أولادها. إنه شعور بغيض وغير منطقي، إلا أنها لا تستطيع السيطرة عليه؛ إنه روح كراهية، وعندما غاب موضوعه الأصلي (الأب)، توجه روح الكراهية إلى عضو آخر في العائلة. ومن الآثار المحتملة لروح الكراهية أن تكره هذه الفتاة كل الرجال، وقد تلجأ إلى السحاق (الشذوذ الجنسي عند المرأة) لكي تتجنب كل احتكاك طبيعي مع الرجال. في الفصل القادم، نبحث في موضوع الخيانة الزوجية، وهو الذي بدوره يولد نوعاً من الشعور بالرفض، وقد اختبره الكثيرون من البالغين. وسنصف أيضاً كيف ترتبط هذه التجربة عادة بالخجل.

الفصل الثالث

الخيانـة والخجـل

تطرقنا في الفصل السابق إلى وصف بعض أسباب الشعور بالرفض في مراحل الطفولة المبكرة. لكن عندما نكبر فإننا نعرض أنفسنا لاحتمال أكبر من الرفض، وذلك من خلال الزواج. والألم في هذه الحالة مضاعف لأنه مرتبط بالثقة، فهو يقود إذاً إلى الخيانة.

لقد عملْتُ، كغيري من الخدام، في مشورة الكثيرات من الزوجات اللواتي يشعرن بفقدان كل شيء. لقد منحن الثقة لأزواجهن، وقدمن أنفسهن لهم بلا تحفظ، لكنهم ذهبوا! فشعرن بالخيانة. وقد تحدثت أيضاً مع أزواج خانتهم زوجاتهم، ورأيت عدة أشكال من الخيانة. هل تعرضت للخيانة يوماً؟ كيف تجاوبت مع ذلك؟

عندما يخونك أحدهم، قد تقول: "لن أفتح قلبي لأحد مرة أخرى، لن أعطى أحداً الفرصة لكي يحرجني

فيما بعد." وهذا رد فعل طبيعي، غير أنه خطر، إذ أنه سيفتح الباب أمام مشكلة أخرى تسمى الدفاعية (Defensiveness) ما هي الدفاعية؟ إنها رد فعل يتخذه من يتعرض للإساءة والتجريح مرة بعد مرة. تقول الدفاعية: "حسناً! سأعيش حياتي، لكنني لن أسمح لأحد بالاقتراب مني لدرجة تمكنه من جرحي ثانية، سأضع جداراً بيني وبين الناس." فمن الذي يعاني في هذه الحالة؟ إنه أنت! حيث تصبح واهناً غير مكتمل الشخصية، كغصن وحيدٍ مترهلٍ متدلٍ من شجرة.

ويقدم النبي إشعياء صورة مُعبرِّة في وصف الخيانة، حيث يُعَزّي الرب شعبه راسماً ملامح صورتهم كما يراها، فيشبههم بزوجة رفضها زوجها، وهي حالة مألوفة إلى حد يثير التوتر والانزعاج، حيث يعاني ملايين النساء – خاصة في الغرب – من هذه الحالة.

" لَا تَخَافِي لأَنَّكِ لَا تَخْزِينَ،
وَلَا تَخْجَلِي لأَنَّكِ لَا تَسْتَحِينَ.
فَإِنَّكِ تَنْسِينَ خِزْيَ صِبَاكِ،

وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ.
لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ
رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ،
وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ.
إِلَهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى.
لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ،
وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلَهُكِ. (إشعياء ٥٤: ٤– ٦)

يصل هذا الوصف إلى قمته في العدد الأخير في صورة "... **امْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ... وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ،...**" والمقطع الأخير هنا يعني: "... كأنثى هُجرت في صباها..." (الترجمة العربية الجديدة المشتركة). وهو شعور تعرفه الكثيرات.

وقد ينقلب الأمر أحياناً، فترفض الزوجة زوجها. فمع أننا نعتبر الأزواج هم الأقوى، إلا أنني رأيت وتعاملت مع حالات كثيرة يعاني فيها الزوج من كرب لا يعبر عنه بسبب رفض زوجته له، فقد يشعر بأنه فشل

كرجل، وربما يصعب على الرجل أحياناً أن يجوز في مثل هذا النوع من الألم، لأنه يشعر بالخجل، فمجتمعنا يفترض أن الرجل لديه مناعة ضد الألم العاطفي.

وتُلقي هذه الصورة من سفر إشعياء الضوء على أمرين يرتبطان عادة بالخيانة الزوجية. يقول الرب في (إشعياء ٥٤: ٤) :

"لاَ تَخَافِي لأَنَّك لاَ تَخْزِينَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّك لاَ تَسْتَحِينَ." أيَ : **"... لأن العار لا يلحقك"** (الترجمة العربية الجديدة المشتركة).إن تسليم النفس لطرف آخر دون تحفظ، ثم الافراط في محبته، وتمكينه من حياتك، ثم اكتشاف رفضه لك، غالباً ما يؤدي إلى الخجل والإذلال.

إعلم أنك تعاني من الخجل إن كنت تشعر وتفكر هكذا: "من غير المناسب أن أقابل الآخرين، لا أستطيع النظر إلى وجوههم." من يشعر بالخجل، يحول بصره عن الآخرين، أو ينظر إلى الأرض عندما يواجه شخصاً آخر. إنه شعور مهين يمنعنا من السلوك الصحي الذي يليق بالإنسان.

وهناك أيضاً طريقتان – بجوار الخيانة أو الطلاق – تؤديان إلى تأثر روح الإنسان بالخجل:

أولاً: الإهانة العلنية، ويمكن أن يحدث مثل ذلك في سنوات الدراسة، كما حدث مع ذلك الشاب اليهودي الذي تعرفنا عليه أنا وزوجتي؛ كان الشاب قد قبل المسيح، لكنه مازال يعاني من مشكلة ما. وبينما كنا نتحدث معه يوماً، اكتشفت فيه إحساسا بالخجل، ولما استوضحنا الأمر، عاد بذاكرته إلى أيام الدراسة الثانوية، عندما أعلن المدير في نهاية العام الدراسي بأنه هو الطالب الوحيد الذي رسب، وعليه أن يعيد السنة.

عند تلك اللحظة، تغير الشاب تماماً، دفن مشاعره، وصار مندفعاً وعدوانياً وشديد النشاط في محاولة إثبات أنه الأفضل. لكن إن كان عليك أن تعاني باستمرار لكي تثبت بأنك لست أقل من الآخرين، فأنت في مسار خاطئ بلا شك. لقد احتاج ذلك الشاب إلى اكتشاف الخجل في حياته والإقرار به.

ثانياً: الإساءة الجنسية في الطفولة. وهو أمر شائع بصورة محزنة في مجتمعاتنا، مع أن أحداً لا يشعر

بالحرية تجاه مصارحة غيره عن مثل هذه التجارب، وقد يكون الأب أو الجد أو أحد الأقرباء مسئولاً عن الإساءة الجنسية، ولا يعرف الضحية إن كان يستطيع أن يثق بذلك القريب ثانية أم لا، ويصبح فريسة لمشاعر متناقضة، فهو لا يثق بذلك القريب الأكبر سناً، لكنه ملزم بإظهار الاحترام له، وكيف يحترم الطفل أو الطفلة أباً أو قريباً أساء إليه جنسياً؟!

وقد تأخذ حياة ذلك الإنسان مجراها دون أن يسعى لعلاج ذلك التوتر المسيطر عليه، بل يكبت في أعماقه ذلك السر المخجل. إلا أن هناك واحداً فقط تستطيع أن تصارحه بكل شيء، ولا يمكن إحراجه مهما قلنا، إنه الرب الذي لا تحرجه مشاكلنا مهما ساءت، وهو الذي يتجاوب معك قائلاً: " أنا أعرف ما حدث معك منذ البداية، وما زلت أحبك."

ومع أن اللّـه يوفر لنا قبولاً تاماً، إلا أن الرفض والخجل والخيانة قد تُوَلّد نتائج بعيدة المدى. هذا ما نأتي إلى وصفه في الفصل التالي.

الفصل الرابع

نتـائج الرفــض

أعتقد أن النتيجة الأساسية للشعور بالرفض هي عدم القدرة على قبول المحبة أو التعبير عنها؛ فالذي لم يشعر قط بأنه محبوب، لا يستطيع أن يمنح المحبة. هذا ما أكده الرسول يوحنا قائلاً:

"نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً." (١يوحنا ٤: ١٩).

فمحبة اللَّـه لنا حركت بالمقابل محبتنا من نحوه. وتبقى المحبة في حالة سبات، حتى يأتي من يوقظها، ولا يمكن استثارتها دون تفاعل بين طرفين. إذاً، إن كان أحد لم يختبر محبة اللَّـه أو محبة الوالدين، يمكن أن ينتقل عدم القدرة على المحبة من جيل إلى جيل وهكذا. مثلاً، طفلة تولد في عائلة لا تختبر فيها المحبة، فتشعر بالرفض، وتعجز بدورها عن تقديم المحبة. تتزوج تلك

الفتاة وتنجب ابنة، لكنها لا تستطيع منح ابنتها المحبة التي تحتاجها، فتكتسب الابنة مشكلة والدتها من جديد، وتنتقل هذه المشكلة البغيضة من جيل إلى جيل إلى جيل بلا توقف.

وفي خدمتي مع أشخاص يعانون من مثل هذه المشكلة، كنت أقول أحياناً: "اسمع، ينبغي أن يتوقف هذا التوارث عند حدٍّ ما، فلماذا لا تكون أنت من يضع له حداً، فلا تضطر لنقل مشاعر الرفض للجيل الآتي؟"

لقد أعلن اللّـه على فم حزقيال بأن الأبناء غير ملزمين بتحمل ذنوب آبائهم وأجدادهم:

"وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: «مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هَذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ. كِلاَهُمَا لِي. النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ... و مَنْ سَلَكَ فِي فَرَائِضِي

وَحَفِظَ أَحْكَامِي لِيَعْمَلَ بِالْحَقِّ فَهُوَ بَارٌّ. حَيَاةً يَحْيَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ." (حزقيال ١٨: ١– ٤، ٩)

فحتى لو فشل والداك في إظهار المحبة، اللَّـه لا يريد لك أن تعاني بسبب أخطائهم. وبقبولك لنعمة اللَّـه وشفائه، تستطيع أن تقطع هذا الميراث الشرير مرة وإلى الأبد.

بالإضافة إلى عدم القدرة على إظهار المحبة، هناك بعض النتائج الثانوية الأخرى للرفض. وأستطيع أن أقول بأن الرفض يولد ثلاث فئات من الناس:

(١) الإنسان الذي يستسلم.

(٢) الإنسان الذي يتظاهر.

(٣) الإنسان الذي يشعل حرباً.

ننظر أولاً في حالة الإنسان المستسلم، فهو يفكر قائلاً في نفسه: "لا أستطيع أن احتمال ذلك فيما بعد؛ لا أستطيع احتمال الحياة؛ ليس في يدي حيلة."

وقد تعلمت من خبرتي في التعامل مع مثل هؤلاء الناس، أنَّ موقفهم هذا يفتح الباب أمام سلسلة من

العواطف السلبية والمواقف الخاطئة التي تتسلسل كما يلي:

الرفض

الوحدة

الشفقة على الذات

التعاسة

الكآبة

اليأس

الموت أو الانتحار

والنتيجة الأخيرة مأساوية. ومع أن كثيرين لا يقدمون عليها، إلا أنها النتيجة المنطقية لتلك العملية المتسلسلة في المشاعر بسبب الرفض. وأن تتخذ هذه الخطوة شكل الموت الطبيعي أو الانتحار هو أمر يعتمد على البنية العاطفية لكل إنسان، فمن تتميز ردود فعله بالجمود، يستسلم للموت في النهاية. والواقع أن الشعور بالرفض هو عامل مشترك في حالات موت كثيرة تُنسب عادةً إلى أسبابا طبيعية.

من يسلك سبل الموت، يحمل في أعماقه رغبة داخلية في الموت. هل نطقت يوماً بمثل هذه العبارة: "أفضل لو أنني أموت"، أو "ما الفائدة من استمرار حياتي؟" إنها طريقة خطرة جداً في الكلام، إنها دعوة لدخول روح الموت! من ناحية أخرى، يلجأ ذو المشاعر العدائية إلى الانتحار كحل جذري. مثل ذلك يقول أيضاً: "ما فائدة استمرار حياتي؟" لكنه يضيف: "فلماذا لا أضع بنفسي حداً لها؟" يرى الشخص العدائي في الانتحار وسيلة لجرح أولئك الذين سببوا له الألم، ولسان حاله يقول: "سأنتقم! وسأجعلهم يعانون كما عانيت".

الإحصائيات المتعلقة بالانتحار في الولايات المتحدة مخيفة؛ ففي عام ١٩٩٠ انتحر ما يزيد على خمسة آلاف شاب وفتاة بين الرابعة والخامسة والعشرين من العمر (من إحصائيات مركز الصحة العالمي.) وفي معظم الحالات، كان التشخيص يضع الشعور بالرفض كمسبب رئيسي للانتحار. ربما لم يتمكنوا من التعبير عن مشاعرهم بالكلمات، إلا أنهم كانوا يشعرون في أعماقهم

بعدم قبولهم وعدم أهميتهم.

هل تشعر بشيء من الأعراض التي وصفناها في هذا الفصل؟ إذا كنت قد بدأت بفقدان السيطرة على ردود فعلك، فلعلك لا تتصارع مع مواقفك السلبية فحسب، لكنك تواجه تأثيراً شيطانياً يستغل تلك المواقف. فلا تغلق ذهنك أمام هذا الاحتمال، بل إن الوصول إلى بعض الحقائق المؤلمة يمكن أن يكون خطوة كبيرة على طريق الانتصار. في الفصل السادس، سوف تتعلم كيف تصلي ضد مثل تلك التأثيرات الشيطانية.

النوع الثاني من الناس الذين يعانون من الشعور بالرفض، يمثله شخص يرفض الاستسلام، لكنه يبني حائطاً دفاعياً من حوله. وما ذلك إلا واجهة ظاهرية يخفي بها صراعه الداخلي ويكبت حزنه العميق، وعادة ما يصطنع هذا الشخص سعادة سطحية، ويظهر مرحاً، وقد يُكثر في الكلام، إلا أنك تستشف في صوته رنيناً مصطنعاً.

أما المرأة التي تمارس مثل هذا التزييف، فإنها تبالغ في زينتها، وتُكثر من الحركات الإيمائية أثناء الكلام، وترفع صوتها بطريقة ملفتة، وذلك في محاولة يائسة للظهور بمظهر الفرح، وكأنها ليست متألمة، أو كأن لا شيء يهمها، بينما هي تقول في داخلها: "لقد جُرحت مرةً جرحاً بليغاً، ولن أعطي الفرصة لأحد لكي يجرحني مرة أخرى." (وهذا هو رد الفعل تجاه الخيانة في الأغلب) وهناك ألوف لا تحصى ممن تنطبق عليهم هذه الحالة في مجتمعاتنا اليوم.

النوع الثالث يتحول إلى محارب؛ إنسان يحارب كل شيء. ويبدو ترتيب ردود الفعل في هذه الحالة كما يلي:

١) شعور بالرفض
٢) استياء وغيظ
٣) كراهية
٤) تمرد

أما التمرد فهو والعِرافة توأمان، حيث يقول الكتاب:

"لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ،..." (١صموئيل ١٥: ٢٣).

والعِرافة هي السحر والتنجيم، أي البحث عن تجربة روحية مزيفة. ويتضمن السحر جلسات استحضار الأرواح، وقراءة الحظ، وخرائط التنجيم بهدف كشف الطالع، والمخدرات، وكل ما يتعلق بهذا المجال بأكمله.

إنها فعلاً تعبيرٌ عن التمرد؛ إنها تَحَوُّلٌ عن اللّه الحي الحقيقي إلى مصدر آخر زائف؛ إنها كسر للوصية الأولى: **"لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي."** (خروج ٢٠: ٣).

وقد اجتاز جيل الشباب في الستينات في هذه الطريق، ابتدأ بالغيظ، مروراً بالكراهية والتمرد، وصولاً إلى السحر والشعوذة. وكما ذكرت سابقاً، لم يكن السبب في ذلك هو استنكارهم للأمور المادية، بل افتقارهم إلى الشعور بأنهم محبوبون، وهو كل ما كانوا يريدونه فعلاً.

و الآن، تعالوا نرى ما عمله يسوع لشفاء جروح الشعور بالرفض.

الفصل الخامس

قمة الرفض

كل ما يقدمه اللَّه في الإنجيل، إنما يقدمه على أساس من الحق أو الحقائق. ويمكن تلخيص طريقة اللَّه في العطاء بثلاث كلمات متسلسلة:

الحقيقة، الإيمان، الشعور. ويعتمد الإنجيل على ثلاث حقائق بسيطة نجدها في (١كورنثوس ١٥: ٣– ٤):

(١) مات المسيح من أجل خطايانا حسب الكتب
(٢) دُفن
(٣) قام في اليوم الثالث.

هذه الحقائق الثلاث هي أساس الإنجيل كله، إنها (الحقائق). ويتبنى الإيمان الحقائق، يبدأ بها، يصدقها ويسلك بموجبها. وبعد الإيمان تأتي المشاعر.

والفرق كبير جداً بين أن تبني إيمانك على الحقائق أو تبنيه على المشاعر، فستعاني حتماً من التقلب والتقلقل وعدم الاتزان؛ فمشاعرك تتغير بتغيرُّ الظروف. إن أردنا أن ننمو ونتقدم كمؤمنين، علينا أن نتعلم فن تصديق الحقائق، حتى عندما تغالطنا المشاعر وتدفعنا إلى الشك.

أما بخصوص الشعور بالرفض، فهناك حقيقتان أساسيتان ينبغي التمسك بهما، هذا إن أردنا أن نتمتع بما توفره لنا نعمة اللَّـه لحل هذه المشكلة:

١) لم يقدم اللَّـه كمًّاً هائلاً من العطايا المتنوعة لسد احتياجات البشرية المتنوعة، لكنه قدم عطية واحدة شاملة وكافية لكل احتياجات الناس جميعاً، وهي موت يسوع على الصليب.

٢) ما حدث على الصليب كان مبادلة عظيمة أعدها اللَّـه نفسه، فما هي تلك المبادلة؟ كل النتائج الشريرة لخطايانا يحملها يسوع، بالمقابل،كل بركات طاعة

يسوع المنزهة عن الخطية تصبح من حقنا. ومن الواضح أننا لم نفعل من جانبنا ما يجعلنا مستحقين لذلك، بل أننا لا نملك حق المطالبة به، إنها عطية منحتها لنا محبة اللَّـه الغير محدودة.

- **"لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّـهِ فِيهِ."** (٢كورنثوس ٥: ٢١).
- **"اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ."** (غلاطية ٣: ١٣– ١٤).
- **"فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ."** (٢كورنثوس ٨: ٩).
- **"... لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّـهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ."** (العبرانيين ٢: ٩).

هل ترى المبادلة؟ أخذ المسيح خطايانا، لننال نحن برَّه؛ أخذ لعنتنا، لننال بركته؛ أخذ فقرنا، لننال غناه؛ أخذ موتنا، لننال حياته. أليس هذا رائعاً؟!

وتتضمن هذه المبادلة أيضاً مواجهة مشكلة الخجل والشعور بالرفض، حيث نقرأ في (عبرانيين ١٢: ٢):

"نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ [الخجل]...."

كان يسوع مدركاً تماماً لما سيواجهه من عار وإذلال علني على الصليب، ولقد كان الإذلال و الخزي والعار من الأهداف الأساسية لفكرة الإعدام بالصلب، حيث يعلق الإنسان عارياً على الصليب، ويمر به الناس وهم يرمونه بكلمات الازدراء والاحتقار، مستهزئين به منتقصين من قدره، بل وربما يلجأون إلى تعبيرات قذرة نترفع عن وصفها هنا.

وكان إشعياء قد لمَّع آلام يسوع في رؤياه النبوية التي تعود إلى سبعة قرون قبل الصليب، فقال على لسان المسيح المتألم:

"بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ

وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ.

وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ." (إشعياء ٥٠: ٦).

لقد تحمل المسيح العار طوعاً من أجلنا، فماذا قدم لنا اللَّـه بالمقابل؟ نعود ثانيةً إلى سفر إشعياء حيث نقرأ:

"عِوَضاً عَنْ خِزْيِكُمْ ضِعْفَانِ، وَعِوَضاً عَنِ الْخَجَلِ يَبْتَهِجُونَ بِنَصِيبِهِمْ..." (إشعياء ٦١: ٧).

إذاً هي البركة والابتهاج والكرامة عوضاً عن الخزي والخجل والعار. بل إن (عبرانيين ٢: ١٠) يقدم المزيد عن هدف موت يسوع، وهو أن يأتي يسوع **"... بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ ..."**؛ فالبركة والابتهاج والكرامة والمجد أيضاً، هي نصيبنا عوضاً عن الخجل والإذلال. ونأتي الآن إلى

الجرح الأعمق: الرفض. لقد تحمل يسوع رفضاً مزدوجاً، أولاً: من الناس، ثم من الآب نفسه. ويضع إشعياء حقيقة ما عاناه يسوع من رفض أهله وأبناء وطنه له بهذه الصورة المؤثرة:

"مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ.

رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ،

وَكَمُسَتَرٍّ عَنْهُ وُجُوهُنَا.

مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ." (إشعياء ٥٣: ٣).

لكن هناك ما هو أسوأ من ذلك. تأمل في اللحظات الأخيرة ليسوع على الصليب كما يصفها متى:

"وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي» [أَيْ: إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟]، فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا». وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ

وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ». فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ." (متى ٢٧: ٤٥– ٥٠).

ولأول مرة في تاريخ الكون، يصلي ابن اللَّـه ولا يستجيب له الآب! لقد حول اللَّـه الآب عينيه عن ابنه، وأغلق أذنيه عن صراخه. لماذا؟! لأن يسوع في تلك اللحظة، كان قد تطابق مع خطايانا أو امتزج بها – إن صح التعبير – فكان موقف اللَّـه الآب من يسوع هو – بالضرورة – موقف البر الإلهي من الخطية، وهو موقف "رفض الشركة" إنه رفض كلي ومطلق، ولم يحتمل يسوع ذلك من أجل نفسه، بل لكي يجعل من نفسه ذبيحة خطية يقدمها من أجلنا.

وأن يتكلم يسوع بالآرامية في تلك اللحظة، أمر يعني الكثير بالنسبة إليَّ. لقد رأيت مثل ذلك في زياراتي للمستشفيات، فعندما يُوضع الإنسان تحت ضغط

حقيقي، كمرض شديد وعسير الشفاء وربما يقف به هذا المرض على أبواب الموت، يعود ذهن ذلك الإنسان إلى لغته الأم التي تلقاها في طفولته. لقد لاحظت ذلك مراراً كثيرة، خاصة ذلك المشهد الذي مازالت تنبض به ذاكرتي، حيث كانت زوجتي الأولى "ليديا" تلفظ أنفاسها الأخيرة حين همست قائلة: "Tak for blodet، tak for blodet" وهذا يعني في لغتها الدنمركية الأم: "شكراً لك من أجل الدم".

وفي مشهد الصليب صورة حية تشير إلى إنسانية يسوع، حيث عاد به ذهنه إلى اللغة التي تحدث بها في صباه، فصرخ بالآرامية. تخيل الظلمة الحالكة في ذلك المشهد، تأمل في الوحدة وفي مشاعر الرفض المطلق التي عانى منها يسوع من الناس أولاً، ثم من اللّـه الآب نفسه. ربما عانينا أنا وأنت من بعض الرفض، لكن ليس بالمقياس الذي عانى به يسوع أبداً. لقد تجرع يسوع كأس الرفض المُرَّة حتى آخر قطرة؛ كان من الطبيعي

أن يعيش بضع ساعات أخرى معلقاً على الصليب، لكنه مات مكسور القلب قبل ذلك، ما الذي كسر قلب يسوع؟ إنه الرفض.

انظر بعد ذلك إلى النتيجة الفورية المؤثرة:

"وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ، وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، ..." (متى ٢٧: ٥١).

ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن الحاجز الذي بين اللَّـه والإنسان قد زال، وأن الطريق إلى اللَّـه أصبحت مفتوحة أمام الإنسان بلا خجل، ولا خوف، ولا شعور بالذنب. لقد أخذ يسوع مشاعر الرفض منا، لكي ننال قبوله. هذا ما يعنيه شق الحجاب. لقد كان رفض الآب ليسوع أعظم من أن يُحتمل، لكن شكراً لله، فالنتيجة هي حرية دخولنا المباشر إلى حضرة اللَّـه.

لننظر الآن إلى بعض تفاصيل قبول اللَّـه لنا:

"مُبَارَكٌ اللَّـهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ،" (أفسس ١: ٣– ٦).

ما هو قصد اللَّـه الأزلي الكائن حتى قبل تأسيس العالم؟ قصده أن نكون أبناءه وبناته، الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلا بموت يسوع النيابي على الصليب. عندما حمل يسوع خطايانا وعانى من أجل رفضنا، فتح الطريق أمامنا لنصير مقبولين، لقد فقد يسوع امتيازات البنوة الإلهية أثناء تلك الفترة، لكي نرتفع نحن إلى منزلة أبناء اللَّـه وبناته.

ونعود ثانيةً إلى (أفسس ١: ٥– ٦) حيث نقرأها من الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة – على الصورة التالية:

"... إذ عيننا في المحبة سلفاً، ليتخذنا أبناء له بيسوع المسيح. وذلك موافق للقصد الذي سُرَّت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حظوة لديه في المحبوب." (ترجمة كتاب الحياة)

والحظوةُ هي المكانةُ أو المنزلةُ، أو هي القبول (Acceptance) كما ذكرنا سابقاً وكما تقترح إحدى الترجمات الإنجليزية. هذا هو علاج الشعور بالرفض: أن تدرك أن يسوع حمل رفضك لكي تنال قبوله؛ تأمل في مدى عمق هذا الإعلان، فنحن موضوع محبة اللَّه واهتمامه وانتباهه، ونحن البند الأول في قائمة اهتماماته الكونية. إنه لا يحشر أحدنا في الزاوية قائلاً: "انتظر، فأنا مشغول وليس عندي وقت لك الآن." أو يرسل ملاكاً يأمرنا بالهدوء لأن اللَّه يريد أن ينام، لكن اللَّه يقول: "أنا مهتم بك؛ أريدك؛ أرحب بك؛ تعال فأنا بانتظارك."

وهذا يشبه موقف الآب في مثل الابن الضال (أنظر

لوقا ١٥: ١١– ٣٢)، الذي كان يقف بنفسه مراقباً رجوع ابنه، فلم ينتظر أحد خدامه ليعلن له ذلك، بل كان هو أول من عرف برجوعه، وهكذا هو موقف اللّـه من جهتنا في المسيح، فلسنا مرفوضين بالنسبة له، ولسنا مواطنين من الدرجة الثانية، ولسنا مجرد خدام مستأجرين.

عندما رجع الابن الضال، لم يكن يطمع في أن يكون أكثر من مجرد أجير عند أبيه، فأراد أن يقول لأبيه: "...**اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ.**" (لوقا ١٥: ١٩).

ولكن عندما بدأ بالاعتراف لأبيه، قطع أبوه عليه بقية الكلام، فلم يسمح له بالقول:

"**اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ**"، بل – وعلى العكس من ذلك – أمر الأب خدامه قائلاً:

"**أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ.**" (لوقا ١٥: ٢٢: ٢٣).

لقد عم النشاط وتحرك الجميع في حفل استقبال الابن الضال، فكأنما هي السماء! ألم يقل يسوع أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة؟ انظر(لوقا ١٥: ٧). هكذا يستقبلنا اللّه في المسيح.

إذاً عليك أن تتمسك بهاتين الحقيقتين:

(١) **حمل يسوع شعورك بالرفض على الصليب، وحمل كل ما يرافق ذلك من حزن وغم وكرب، حتى أنه مات بسبب انكسار قلبه.**

(٢) **نحن مقبولون بسبب رفضه، نحن مقبولون في المحبوب يسوع. إنها تلك المبادلة العظيمة: أخذ يسوع ما هو شرير، لكي ننال ما هو صالح.**

وكل ما تحتاج إليه لا يتعدى أحياناً التمسك بهاتين الحقيقتين. حدث قبل سنوات، وفى أحد المخيمات الروحية، أنني كنت في طريقي إلى إحدى القاعات حيث طُلب مني أن أعظ، فاصطدمت بتلك السيدة التي جاءت

مسرعة من الاتجاه المقابل، والتي قالت – وهي تلتقط أنفاسها – آه، أخ برنس، كنت أصلي أن يجعلنا نتقابل إن كانت إرادته أن أتحدث معك."

فقلت: "حسناً، وها نحن تقابلنا! فما المشكلة؟ ليس معي الآن سوى دقيقتين لأتحدث معكِ، فموعد عظتي قد حان." فبدأت السيدة بالكلام، وقاطعتها بعد حوالي نصف دقيقة قائلاً: "انتظري، أنا أعرف مشكلتك، ولا داعي لمزيد من الشرح، فأنت تعانين من الشعور بالرفض، وعندي لك حل مناسب! أريد منك أن ترددي بعدي هذه الصلاة وبصوت مرتفع."

لم أقل لها مسبقاً محتوى الصلاة، بل ارتجلت الكلمات، وهي تردد بعدي العبارة تلو العبارة:

"شكراً يا رب لأنك تحبني، وقد قدمت ابنك يسوع ليموت من أجلي؛ ليحمل خطاياي؛ ليأخذ عني مشاعر الرفض، شكراً لأنه دفع الأجرة عني، وتحمل عقابي، والآن أنا لست مرفوضة فيما بعد، لأنني آتي إليك من

خلال يسوع؛ أنا لست مطروحة أو متروكة، لكنك تحبني حقاً، وأنا ابنتك بالفعل، وأنت بالحقيقة أبي. أنا أنتمي إلى أفضل عائلة في الكون، والسماء هي بيتي الحقيقي. آه يا رب شكراً لك، شكراً." انتهينا من الصلاة، فقلت: "آمين، وداعاً ينبغي أن أذهب الآن."

بعد حوالي شهر، وصلتني رسالة من تلك السيدة، وبعد أن وصفت لقاءنا في رسالتها، أضافت تقول: "أريد أن أخبرك بأن تلك اللحظات التي تحدثت معي فيها، وتلك الصلاة التي صليت، قد غيرت حياتي تماماً. لقد أصبحت شخصية مختلفة تماماً منذ ذلك الحين."

وبينما كنت أقرأ رسالتها، فهمت ما حدث معها في لقاء الدقيقتين ذاك: لقد انتقلت من الرفض إلى القبول.

عائلة اللّـه هي العائلة الأفضل، فلا مثيل لها. وحتى إن لم تمنحك عائلتك الاهتمام الكافي، ورفضك أبوك، ولم تتفرغ لك أمك أبداً، ولم يُظهر زوجك أية محبة، فاعلم واعلمي بأن اللّـه يريدك ويقبلك ويخصص لك حظوة رفيعة ومنزلة

خاصة. أنت موضوع رعايته المباشرة ومحبته الخاصة. وكل ما يعمله في الكون، إنما يدور حولك أنت.

يقول بولس لأهل كورنثوس: **"لأَنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ..."** (٢كورنثوس ٤: ١٥)، مع أنهم لم يكونوا أفضل المؤمنين. نعم، كل ما يعمله اللَّـه، إنما يعمله من أجلك. ولا مجال للغرور في إدراكك لهذه الحقيقة، بل ينبغي أن يقودك هذا إلى التواضع، إذ لا مكان للغرور عندما نرى نعمة اللَّـه.

ومن الجدير بالذكر هنا أن كلمات يسوع الأخيرة قبل الصليب، كانت تتعلق بعلاقتنا باللَّـه باعتباره أبونا:

"أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهَؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ..." (يوحنا ١٧: ٢٥– ٢٦ أ).

كيف عرفنا يسوع باللَّـه؟ لقد عرفنا به باعتباره أب. عرف اليهود اللَّـه باعتباره "يهوه" عبر أربعة عشر قرناً، لكن ابن اللَّـه يسوع هو الوحيد الذي استطاع أن يقدم لنا اللَّـه كأب بصورة

واضحة. ست مرات في صلاته الأخيرة من أجل تلاميذه، يخاطب يسوع اللَّـه كأب. ويقول أيضاً: "... **وَسَأُعَرِّفُهُمْ، [أي سأستمر في أن أعرفهم]** ..." (يوحنا ١٧: ٢٦ ب)

يقول يسوع بأنه سيواصل إظهار اللَّـه كأب، ثم نأتي إلى هدف هذا الإعلان:

"... **لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ**». (يوحنا ١٧: ٢٦)

وأفهم من هذا بأن اللَّـه يحبنا تماماً كما يحب يسوع نفسه، وذلك لأن يسوع فينا. لكن هناك جانب آخر في هذه المعادلة، فلأن يسوع فينا، نستطيع نحن أن نحب اللَّـه كما يحبه يسوع تماماً. وهذا يمثل قمة هدف خدمة يسوع على الأرض، وهو أن يأتي بنا إلى الاشتراك في علاقة المحبة التي تربط الآب بالابن. ولهذا الإعلان – كما ذكرنا – جانبان: أولاً: يحبنا اللَّـه الآب كما يحب يسوع؛ ثانياً: نستطيع أن نحب الآب عاكسين ذات المحبة التي في قلب يسوع نحو الآب.

يقول يوحنا: **"لَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ،..."** (١ يوحنا ٤: ١٨)، وبينما ننمي علاقة المحبة باللَّـه، لا يكون فيما بعد موضع للشعور بالذنب أو عدم الأمان أو الرفض. ربما تحمل ذكريات تعيسة عن علاقتك بأبيك الأرضي، فمع أن اللَّـه يريد لكل أب أن يعبر عن قلب اللَّـه الأبوي، إلا أن الكثيرين من الآباء يفشلون في ذلك. لكن مازال هناك أب سماوي يحبك، ويفهمك، ويفكر بك حسناً، ويخطط لك الأفضل. لن يتركك أبوك السماوي أبداً، أو يسيء فهمك، أو يتحالف مع آخرين ضدك.

هذا الإعلان البسيط لأبوة اللَّـه والقبول في المسيح، يمكن أن يحل مشكلة الرفض عند بعض الناس، بينما لا يتحقق هذا الغرض عند بعضهم الآخر. فإذا شعرت بأن مشكلتك لم تحل بعد، ربما تكون محتاجاً إلى مزيد من المساعدة. تابع القراءة في الفصل التالي، بينما أشرح بعض الخطوات العملية التي يمكنك اتخاذها من أجل تفعيل عطايا اللَّـه في حياتك.

الفصل السادس

كيفية استخدام العلاج

حتى هذه المرحلة، تكون قد سمحت للروح القدس بأن يُدخِل مجسه في جرحك، وقد كشف لك عن الجسم الغريب الذي يسبب لك الالتهاب والألم. فهل أنت مستعد الآن لقبول العلاج الإلهي؟ إن كنت مستعداً، هناك خمس خطوات ينبغي إتباعها:

الخطوة الأولى: تعرف على طبيعة مشكلتك، وسمها باسمها الصحيح: الشعور بالرفض. يأتي بنا اللَّه دائماً إلى لحظة صدق قبل أن نتمكن من قبول مساعدته.

الخطوة الثانية: ليكن يسوع مثالك **"فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ."** (١بطرس ٢: ٢١). كيف واجه يسوع الرفض؟ لقد كرس ثلاث سنوات ونصف من حياته للآخرين، لغفران الخطايا،

وشفاء المرضى، وتحرير المقيدين بأرواح شريرة. وفي نهاية تلك الفترة، خيرَّ الحاكم الروماني اليهود الذين ينتمي إليهم يسوع بين إطلاق سراح يسوع الناصري أو إطلاق "باراباس" المجرم، والمذنب بالسرقة والقتل والفتنة (أي العصيان السياسي المُسلح). فما كان منهم إلا أن رفضوا يسوع، واختاروا "باراباس"، فكان ذلك القرار هو الأكثر إثارة للدهشة والأعظم مأساوية وقسوة في تاريخ الجنس البشري كله؛ إذ صرخ الجميع: "لا نريد يسوع! اصلبه! وأطلق لنا "باراباس"." كيف تجاوب يسوع مع ذلك؟ صلى يسوع من أجل صالبيه قائلاً:

" «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» " (لوقا ٢٣: ٣٤).

فالخطوة الثانية هي الغفران، وهو ليس أمراً سهلاً، بل أنك لا تستطيع تنفيذه بمفردك. لكن، وبينما تصل إلى هذه الخطوة، تجد الروح القدس حاضراً معك، فإذا خضعت للروح، يمنحك النعمة الفائقة التي تحتاج إليها.

قد تقول: لكن الشخص الذي أساء لي قد مات، فلماذا أحتاج إلى أن أغفر له؟! وأقول لك: لا فرق إن كان حياً أو ميتاً، فأنت تغفر له من أجلك أنت أولاً، لا من أجله هو.

أعرف شاباً مؤمناً سمع هذه الرسالة، فأدرك أنه كان يحمل مرارة وكراهية وغضباً وتمرداً ضد أبيه ولعدة سنوات. وإذ كان أبوه قد مات، أخذ الشاب زوجته في رحلة طويلة قاصداً المقبرة التي دُفن بها أبوه، وكانت على بُعد عدة مئات من الكيلومترات. وهناك، ترك الشاب زوجته في السيارة، وذهب وحده إلى حيث قضى ساعتين فرَّغ فيهما كل مواقفه المسمومة، ولم يترك المكان إلاَّ وهو متيقن بأنه غفر لأبيه. عندما خرج الشاب من المقبرة، كان إنساناً مختلفاً. وتشهد زوجته اليوم بأنها تعيش مع زوج جديد. نعم، لقد كان الأب متوفى، لكن الغيظ والحقد كانا مفعمين بالحياة.

وهناك أمر هام جداً في علاقة الأولاد بوالديهم، وينبغي أن يتذكر الشباب والشابات ذلك بشكل خاص،

وهو أن أول وصية اقترنت بوعد هي: **"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ،... كَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ،..."** (أفسس ٦: ٢ – ٣). فإن لم تكرمهما، تأكد بأنه لن يكون لك خير. ربما تقول: "كانت أمي زانية، وأبي مدمن على الكحول؛ كيف تتوقع من أن أكرمهما؟!" نعم، لا تكرمهما بصفتهما زانية ومدمن، بل لأنهما أمك وأبوك. هذه هي وصية اللّـه، وهذا هو مطلبه.

في بداية اختباري للولادة الجديدة والمعمودية في بالروح القدس، ظننت بأن معرفتي صارت تزيد كثيراً عن معرفة والديَّ. وكان "مارك توين"* قد أبدى ملاحظة ساخرة حول هذا الموضوع، وذلك أنه سافر لعدة سنوات، ثم عاد فاندهش من كثرة ما تعلمه والده خلال تلك الفترة! وأنا كنت كذلك أيضاً. ويوماً ما، لفت الرب نظري إلى هذا المبدأ: "إذا أردت أن يكون لك خيرٌ ينبغي أن تتعلم كيف تكرم أباك وأمك."

والآن، وقد رحل أبي وأمي عن هذا العالم، فأنا أشكر

* مارك توين: أديب أمريكي (١٨٣٥– ١٩١٠)

اللّـه لأنني كنت قد تعلمت حقاً كيف أظهر لها الاحترام والإكرام. وأعتقد أن ذلك واحداً من الأسباب التي جعلت الأمور تسير معي بشكل جيد. لقد رأيت هذا المبدأ بجانبيه الإيجابي والسلبي: رأيت أناساً يكرمون والديهم وينعمون بالبركة، ورأيت أناساً يرفضون إكرام والديهم فلا يكون لهم خير، ولا ينعمون من اللّـه ببركته أبداً.

والواقع أن عدم الغفران هو من أكثر موانع بركة اللّـه شيوعاً، وهذا ينطبق على العلاقة بين الزوجين أيضاً. أذكر حديثاً دار بيني وبين سيدة جاءت إليَّ من أجل الصلاة والتحرير. قلت لها: "ينبغي أن تسامحي زوجك"، فقالت: "بعد أن دمر خمسة عشر عاماً من حياتي، ثم ذهب مع امرأة أخرى؟!" فقلت : "حسناً هل ترغبين بأن يدمر ما تبقى من حياتك؟ إن كان كذلك، إستمري بالحقد عليه، وهذا كفيل بتدميرك."

تذكر، الشخص الذي يغتاظ ويحقد هو الذي يعاني أكثر، لا الشخص الذي يُحقد عليه. كما قال أحدهم عن

رجل مصاب بالقرحة: "ليس المهم ما يأكله هذا الرجل، بل ما يأكل في الرجُل هو المهم." وتستطيع أنت أن تغفر عندما يمكنك الروح القدس؛ تستطيع أن تغفر – إن أردت.

الغفران ليس عاطفة، لكنه قرار. لا تقل: "لا أستطيع"، فالحقيقة أنك تقول: "لا أريد".

وما دمت تقدر أن تقول: "لا أريد"، فأنت تقدر أن تقول: "أريد".

الخطوة الثالثة: اتخذ قراراً ذهنياً واعياً بالتخلص من ثمر الرفض في حياتك، كالمرارة والغيظ والاستياء والكراهية والتمرد. تذكر ذلك الشاب الجالس عند قبر أبيه، فهذه الثمار كلها سموم، إذا راعيتها في قلبك وغذيتها، سممت حياتك كلها، وسببت لك مشاكل نفسية عميقة، بل وربما مشاكل جسدية أيضاً. اتخذ هذا القرار بإرادتك قائلاً: "أنا أرفض المرارة والغيظ والكراهية والتمرد."

الخطوة الرابعة: ولست مطالباً بتنفيذ هذه الخطوة بنفسك؛ لقد أعدها اللَّه لك مسبقاً، **"إذ عيننا في المحبة سلفاً، ليتخذنا أبناء له بيسوع المسيح. وذلك موافق للقصد الذي سُرت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حُظوة لديه** [أي منزلة وقبول] **في المحبوب"** (أفسس ١: ٥– ٦ الترجمة التفسيرية – كتاب الحياة).

يقول المختصون للمدمنين على الكحول والخاضعين للعلاج: "الغيظ والحقد أمور كمالية، لا تستطيعون دفع ثمنها الغالي." وهذا صحيح لنا جميعاً، فمن مِنّا يتحمل دفع ثمن الغيظ والحقد وهما مكلفان جداً؟!

عندما تأتي إلى اللَّه من خلال يسوع، تكتشف على الفور أنك مقبول. وليس عند اللَّه أولادٌ من الدرجة الثانية؛ إنه لا يحتملك أو يرضى بك فقط، لكنه يحبك، ويهتم بك شخصياً وبحاجاتك. أنظر ثانية إلى كلمات (أفسس ١: ٤ – ٦):

" كما كان [اللَّه] قد اختارنا فيه [في يسوع] قبل

تأسيس العالم، لنكون قديسين بلا لوم أمامه. إذ عيننا في المحبة سلفاً، ليتخذنا أبناء له بيسوع المسيح. وذلك موافق للقصد الذي سُرَّت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حظوة لديه في المحبوب" (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

كان قصد اللَّـه منذ الأزل أن يجعلنا أبناءً له، وقد حقق ذلك من خلال موت المسيح على الصليب من أجلنا. وما عليك إلا أن تؤمن (تصدق) بأن اللَّـه يريد أن يجعلك ابنه. وعندما تأتي إليه من خلال يسوع، تجد أنه قبلك بالفعل.

الخطوة الخامسة: اقبل نفسك. وتكون هذه الخطوة هي الأصعب أحياناً. وقد اعتدت أن أقول للمؤمنين: "لا تقلل من شأن نفسك أبداً، لا تنتقد نفسك، أنت لم تصنع نفسك، لكن اللَّـه صنعك." يخبرنا بولس في (أفسس ٢: ١٠) بأننا نحن **"عمل"** اللَّـه. والأصل اليوناني للكلمة "عمل" هنا هي "poema" والتي أُخذت منها الكلمة

الإنجليزية "poem – قصيدة شعرية". وتشير الكلمة اليونانية إلى معنى العمل الفني الخلاق، "فنحن "التحف الفنية – master pieces" " التي صنعها اللَّـه (أنظر الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة). فمن بين كل خلائقه، خصنا اللَّـه بأدق عناية وبأفضل اهتمام، وميَّزنا بعد أن كنا منبوذين ومتروكين.

ربما تتداعى في ذاكرتك الآن أحداث مؤلمة، بدايات خاطئة، كانت السبب في زواج فاشل وأولاد منحرفين وأزمات مالية مدمرة. ربما تسمي نفسك "فاشل"، لكن اللَّـه يسميك "ابني وابنتي". تستطيع أن تقبل نفسك، لأن اللَّـه قبلك. وعندما تأتي إلى اللَّـه في "يسوع"، تصبح خليقة جديدة.

"... إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً. وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللَّـهِ،..." (٢كورنثوس ٥: ١٧ – ١٨ أ).

ليس لك أن تُقيِّم نفسك بناءً على حياتك السابقة قبل

المسيح، لأنك أصبحت الآن خليقة جديدة.

والآن، عزيزي القارئ، هل سلكت في هذه الخطوات الخمس؟ إن كنت قد فعلت فقد جاء الآن الوقت لكي تعلن تحريرك، مصلياً صلاة تكون هي الختم على كل ما تعلَّمت بخصوص قبول اللَّـه لك. يمكنك أن تصلي بكلماتك الخاصة وببساطة، فإن كنت في حيرة مما تقول، اقرأ الصلاة المقترحة التالية وصلِّ صلاتك الخاصة على نمطها:

"أيها الرب يسوع المسيح، أنا أؤمن بأنك ابن اللَّـه، وأنك الطريق الوحيد إلى اللَّـه. لقد مت على الصليب من أجل خطاياي، وقمت من بين الأموات. يارب، أنا أتوب عن كل خطاياي، وأغفر لكل من أساء إليَّ كما يغفر لي اللَّـه. أنا أسامح كل الذين رفضوني وجرحوني ومنعوا عني محبتهم، وأنا أؤمن يا رب بأنك تسامحني وتغفر لي.

يا رب، أنا أؤمن بأنك تقبلني الآن. أنت قبلتني لأجل ما عملته على الصليب من أجلي. أنا مقبول ولي منزلة

رفيعة عندك، أنا موضوع اهتمامك الخاص، وأنت تحبني فعلاً. أنت تريدني، والآب السماوي هو أبي، والسماء بيتي، وأنا أحد أفراد عائلة اللّـه، أفضل عائلة في الكون. نعم يا رب، أنا مقبول، شكراً يا رب شكراً.

كما أنني يا رب أقبل نفسي كما خلقتني تماماً، فأنا قصيدتك الشعرية وتحفتك الفنية، شكراً لأجل كل ما عملته. أنا أؤمن بأنك بدأت معي عملاً صالحاً، وستكمل عملك إلى التمام. والآن، أنا أعلن تحريري الكامل من أي روح شرير استغل جروح حياتي؛ أنا أطلق روحي لتفرح بك. باسمك أصلي. آميـــن.

إنها لحظة التحرير من أي روح شرير كان يتسلَّى بتعذيبك، فإذا شعرت بقوة ما تحاول أن تحارب الصلاة التي صليتها الآن، أعلم أنه روح شرير. وربما تأتي إلى ذهنك مجموعة كلمات مثل:، رفض، حقد، غيظ، شفقة على الذات، كراهية، موت، أو كلمة أخرى مشابهة؛ إنه الروح القدس يكشف لك عن شخصية عدوك وعن اسمه،

فأعلن رفضك له بصوتٍ مسموع وتخلص منه؛ فمهما كانت الطريقة التي يحاول العدو أن يُظهر نفسه من خلالها، عليك أن تطرده. اطرده مع زفير رئتيك، أو بأنات تعلن فيها رفضك أو حتى بالانتهار والصراخ، المهم أن تطرده خارجاً!

إنها اللحظة التي طالما تقت إليها، فلا تهتم الآن بمركزك أو كرامتك! اقبل كل ما يقدمه لك روح اللَّـه، وبينما تبدأ عملية التحرير، ابدأ أنت بالتسبيح بصوت مرتفع: "شكراً لك يا رب، أسبحك، أحبك، شكراً من أجل الحرية، شكراً من أجل كل شيء." فالشكر يثبت الختم على تحريرك، وها أنت مستعد الآن لحياة الحرية الجديدة التي أخذت.

الفصل السابع

القبول وسط شعب اللَّه

خطوة مهمة أخرى في طريق تحقيق القبول، وهي القبول وسط شعب اللَّه، وهذا يعني اكتشاف المكان المناسب لكل واحد منا في جسد المسيح، فنحن – كمؤمنين – لسنا أفراداً معزولين، لقد أُدخلنا في علاقة بإخوتنا المؤمنين، وهذه العلاقة هي إحدى الوسائل التي نتمتع من خلالها بتحقيق القبول في حياتنا اليومية، فهناك أولاً القبول من أبينا السماوي، وهي الخطوة الأهم، لكن ينبغي للقبول أن يُمارس عملياً في علاقتنا بإخوتنا المؤمنين أيضاً، فالمسيحية – في مجملها – لا تتكون إلا من جسد واحد، وكل مؤمن هو عضو في هذا الجسد. يقول بولس: **"فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هَكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضاً لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ."** (رومية ١٢: ٤– ٥).

فبما أننا أعضاء جسد واحد، وكل عضو ينتمي للآخر، فلا نستطيع أن نجد الشبع الكامل والسلام والقبول بمعزل عن الأعضاء الآخرين.

"فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضاً لَيْسَ عُضْواً وَاحِداً بَلْ أَعْضَاءً كَثِيرَةً. إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ: «لأَنِّي لَسْتُ يَداً لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِذَلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ وَإِنْ قَالَتِ الأُذُنُ: «لأَنِّي لَسْتُ عَيْناً لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِذَلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟" (١كورنثوس ١٢: ١٤– ١٦).

أنت جزء من الجسد، ربما تكون قدماً أو يداً، عيناً أو أذناً، لكنك لا تكتمل بعيداً عن باقي الجسد، ولا يكتمل باقي الجسد من دونك، ومن هنا تأتي أهمية أن تجد مكانك في الجسد.

"لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ». أَوِ الرَّأْسُ أَيْضاً لِلرِّجْلَيْنِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا». بَلْ بِالأَوْلَى أَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي تَظْهَرُ أَضْعَفَ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ. وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلاَ كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ." (١كورنثوس ١٢: ٢١– ٢٣).

فلا يقدر أحدنا أن يقول لأخيه: "أنا لا أحتاج

إليك؛" فكل منا يحتاج إلى الآخر. لقد خلق اللّـه الجسد بطريقة تتداخل فيها الاحتياجات، ويعتمد فيها كل عضو على الآخر، فلا يعمل العضو بفاعلية بمفرده. وهذا ينطبق على كل واحد منا، هذا ينطبق عليك أنت، فأنت تحتاج إلى الأعضاء الآخرين، وهم يحتاجون إليك، وأن تجد مكانك في الجسد، يجعل من اختبار القبول في حياتك أمراً حقيقياً وتجربة يومية.

ويقدم العهد الجديد صورة أخرى يصف فيها المؤمنين بأنهم عائلة واحدة، حيث تبدأ الصلاة التي عّملها يسوع لتلاميذه بهذه الكلمة المهمة: "أبانا..." وهذا يشير إلى أمرين:

أولاً: لنا أب هو اللّـه، وهذا يعبرٍ عن القبول رأسياً مع اللّـه. **وثانياً**: أن الكلمة هي "أبانا" وليس "أبي"، فنحن أعضاء في عائلة، وهناك أبناء كثيرون ينتمون إليها. لذلك لا يكون اختبار القبول فعالاً على المستوى الأفقي، إلا عندما نجد مكاننا في العائلة، ونلتزم به. إذاً، هناك قبول رأسي من اللّـه، وأفقي من عائلة اللّـه.

" فَلَسْتُمْ إِذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللَّـهِ،" (أفسس ٢: ١٩). وفي الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة: " ... أعضاء عائلة اللّـه."

فالبديل هو أن نكون غرباء ونزلاء. لكننا لا نحب هاتين الكلمتين (غرباء، نزلاء). لقد هاجرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٣، لكنني لم أصبح مواطناً قبل ١٩٧٠، ولمدة سبع سنوات كنت غريباً ونزيلاً في تلك البلاد، ومعظم الذين حصلوا على الجنسية بالولادة، لا يعرفون أبداً معنى أن تكون غريباً في بلد ما.

كان عليَّ أن أملأ استمارة لدائرة العدل أول كلِّ سنة،مبيناً مكان إقامتي. كان على السلطات أن تعرف أين تجدني، فربما أرادوا أن يتحققوا من شكوك تدور حولي، أو ربما رغبوا في ترحيلي! ثم لم يكن مسموحاً لي بالتصويت لا على مستوى الاتحاد ولا على مستوى الولاية. عندما كنت أسافر وأعود، كان عليَّ أن أقف في صف خاص منفصل عن مواطني الولايات المتحدة، حيث يدقق في جواز سفري، ويطلب مني إبراز بطاقة

خضراء تدل على أنني كنت مقيماً في أمريكا كغريب.

فهناك إذاً فروق وهناك تمييز، فأنت لا تنتمي إلى البلد حقاً ما دمت نزيلاً بها فقط. لكن اللَّـه يقول: "لست غريباً فيما بعد أو نزيل، لكنك تنتمي إلى العائلة وأنت جزء منها." لكن هذا لا يكون صحيحاً بالنسبة إليك، إلا عندما تجد مكانك في العائلة. يقول صاحب المزمور:

"اَللّـهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ..." (مزمور ٦٨: ٦أ).

هل تشعر بالوحدة؟ هناك الملايين من المتوحدين (أي الذين يعانون من الوحدة) في العالم، من دون أن يدركوا بأن اللَّـه قد أعد بيتاً لأمثالهم. فالرب هو:

" مُخْرِجُ الأَسْرَى إِلَى فَلاَحٍ. إِنَّمَا الْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ الرَّمْضَاءَ." (مزمور ٦٨: ٦ ب). هدف اللَّـه هو أن يضمك إلى عائلة وبيت، محطماً بذلك قيود وغامراً إياك بالسعادة والفلاح. أما الذين يرفضون قيادة اللَّـه، فيسكنون في صحراء حارة قاحلة.

قد يتساءل أحدهم: "كيف أُصْبِحُ عضواً في عائلة

اللَّـه؟ هناك جماعات مختلفة يمكنك الانضمام إليها، أكان اسم تلك الجماعة كنيسة أو شركة روحية أو إرسالية أو غيرها، فالاسم ليس هو المهم. وأعترف أن الأمر لا يكون بهذه السهولة دائماً، فليس سهلاً أن تجد تلك الجماعة التي تجعلك مقبولاً بالفعل. في كتابي "عهد الزواج" أعددت قائمة من تسعة أسئلة، ينبغي أن يسألها كل من يبحث عن الجماعة المناسبة لكي ينضم إليها. أما الأسئلة فهي:

١) هل يكرمون الرب يسوع ويعظمونه؟

٢) هل يحترمون سلطان كلمة اللَّـه المكتوبة؟

٣) هل يعطون المجال والحرية لتحركات الروح القدس؟

٤) هل يُظهرون المودة والترحيب الحار؟

٥) هل يسعون لممارسة إيمانهم في الحياة اليومية؟

٦) هل بينهم روابط شخصية فعالة، تتعدى مجرد حضور الاجتماعات؟

٧) هل يوفرون اهتماماً رعوياً يشمل كل احتياجاتك المشروعة؟

٨) هل هم منفتحون على الشركة مع الجماعات المؤمنة الأخرى؟

٩) هل تشعر بينهم بالراحة والاطمئنان كما يليق بعائلة؟

فإن كانت الإجابة عن جميع الأسئلة، أو عن معظمها، هي "نعم"، فأنت قريب جداً من تحقيق هدفك. استمر في طلب الإرشاد الإلهي، إلى أن تنال توجيهاً محدداً من اللّـه. وتذكر بأنك لن تجد الجماعة المثالية الكاملة على الأغلب.

ها أنت قد عرفت الطريق لكي تهرب من وحدتك ومن شعورك بأنك منبوذ تُراقَب من بعيد. فكن جزءاً من نظام الجسد الحي، جد مكانك ووظيفتك وستختبر آنذاك الشبع والاكتفاء.

في نهاية كتابي "عهد الزواج" اقترحت صلاة يصليها كل من يتوق لاكتشاف مكانه وسط شعب اللّـه،

وها أنا أختم هذا الفصل بتلك الصلاة. فإن كانت تعبر عن مشاعرك، اقرأها مصلياً ثم قل "آمين"، وهكذا تكون هذه الصلاة هي صلاتك أنت.

يا رب، لقد عشت وحيداً غير قانع بحياتي وأنا أقر بذلك. أنا أتوق لأن أسكن في بيتك، وأكون أحد أفراد عائلة روحية من المؤمنين الملتزمين. إن كانت هناك حواجز في داخلي، فأنا أطلب منك أن تزيلها. أرشدني إلى الجماعة المناسبة، حيث أجد شبعاً لرغبتي هذه، وساعدني لكي ألتزم نحوهم كما ينبغي. باسم يسوع. آمين.

إذا قلت "آمين" على هذه الصلاة بإخلاص، أعدك بأن شيئاً ما سيحدث في حياتك. سيتحرك اللّـه، وسيعطيك اتجاهاً جديداً وروابط جديدة، ويفتح لك أبواباً جديدة أيضاً. سيخرجك من أرض الجفاف والظمأ، لتكون عضواً وجزءاً من الجسد.

الفصل الثامن

المحبة الإلهية

فلنبدأ بمراجعة سريعة: يعاني الكثيرون من جروح الرفض والخيانة والخجل، وقد يكون لذلك أسباب محددة كالرفض من الوالدين أو الطلاق أو الإهانة العلنية وغيرها.

لقد وفر لنا الرب يسوع العلاج المناسب، وذلك من خلال عدة مقايضات تمت على الصليب: رُفض يسوع من اللَّه ومن الإنسان، لكي نصير نحن مقبولين عند اللَّه وفي عائلة اللَّه؛ عانى يسوع من العار والخزي، لكي نشاركه نحن في مجده، مات يسوع موتنا، لكي نتمتع نحن بحياته.

إن معرفة ما عمله المسيح والإقرار به، يُعَد كافياً لبعض الناس حتى يختبروا الشفاء والتحرير، بينما يحتاج آخرون إلى خطوات أخرى مثل:

١) اسمح للروح القدس بأن يعينك على اكتشاف مصدر الشعور بالرفض وطبيعته في حياتك.

٢) اغفر للشخص (أو الأشخاص) الذي كان سبباً في إيذائك.

٣) تخلى عن الثمار المدمرة التي ينتجها الرفض، كالمرارة والغيظ والاستياء والحقد والكراهية والتمرد.

٤) اقبل حقيقة أن اللّـه قبلك في المسيح.

٥) اقبل نفسـك.

النتيجة الأساسية للشعور بالرفض هي عدم القدرة على ممارسة المحبة أخذاً أو عطاءً. لذلك، يعتبر الشعور بالرفض من أعظم العوائق أمام المحبة الإلهية. فاللّـه يعمل في حياتنا لكي يقودنا إلى معرفة محبته الإلهية. ولا أشير هنا إلى المحبة التي يظهرها اللّـه من نحونا، بل إلى الطريقة التي تنسكب بها محبة اللّـه في داخلنا أولاً، ثم تفيض على العالم بأسره من خلالنا. وتتضمن هذه الطريقة مرحلتين متتاليتين:

أولاً: محبة اللَّـه المنسكبة (outpoured)، ثم محبة اللَّـه العاملة (out worked). أما المرحلة الأولى فهي اختبار هائل فائق للطبيعة؛ أما الثانية فهي عملية التشكيل التدريجي الذي يقوم به اللَّـه ليصل بشخصياتنا إلى الصورة التي يريدها.

ومما يثري الذهن – في هذا المجال – أن نبين التضاد بين هذا النوع من المحبة وبين الحب البشري المجرد. كنت معجباً جداً في شبابي بكتابات" وليم شكسبير"* وقد كان "هاجس شكسبير" هو هاتان التجربتان البشريتان: الحب والموت. وكان يأمل أن يوفر الحب مهرباً من الموت بشكل ما.

وتظهر، في بعض قصائده، تلك الشخصية التي عُرفت فيما بعد بـ"السيدة السمراء –the dark lady" . ويبدو أن شكسبير كان يكنُّ لها عاطفة وحباً شديدين، إلا أنها لم تبادله المشاعر نفسها. وفي إحدى مقطوعاته الشعرية

* وليم شكسبير: شاعر مسرحي إنجليزي (١٥٦٤– ١٦١٦)

(السونيتات)، يحاول أن يقنعها بأن شِعره سيخلدها، حتى وإن كان ينتظرها الهِرَمُ والموت، فيقول (مترجمة بتصرف):

أبيوم من أيام الصيف أُشبهك؟
أكثر لطفاً أنت وأجملْ
فالريحُ القاسيةُ تهزُّ براعم أيار الأخَّاذة
والصيفُ يدومُ قليلاً
لا يلبثُ أن يرحلْ
يشتد هجيرٌ ترسله عينُ الفَلَكِ* الوهَّاجةِ حيناً
أو قد يخبو وجهُ الشمسِ الذهبيْ
وملامُحه الفتَّانةُ تأفلْ
وكذا يفترقُ الحسنُ عن الحسنِ ويسلاهْ

* السونيتة : قصيدة من اثنى عشر بيتاً. وعدد سونيتات شكسبير ١٥٤، كُتبت ما بين ١٥٩٣– ١٦٠٠م. ويُعتقد أن القصيدة أعلاه قد وجهت أصلاً إلى أحد أصدقائه المقربين، أما السيدة السمراء فكانت موضوع قسمٍ آخر من قصائده.

أو قلْ تمسَخُه الصدفةْ،
أو طبعُ الأيام المتقلِّب ينساهْ
أمَّا الصيفُ الأَبديُّ لديك فلا يذبلْ
لا يفقدُ فتنته كسواهْ
لن يتباهى الموتُ بطيِّ عجائبِك الزهريَّة في ظلهْ
بل يحيا سحرُك ما امتدَّ التاريخُ ويكبرْ
ما دامَ هنالك من يتنفسُ فوقَ الأرضِ ويشعرْ
ما دامتْ عينٌ تنظرْ
تحيا هذي الكلماتُ على الأيام
وتمنحُك الكلماتُ الخالدةُ حياةْ (السونتية ١٨).

كان هذا أفضل ما يستطيع حبه أن يقدم لها خلود شعره. وربما عاشت هذه القصيدة قُرابة الأربعمائة عام، إلا أن حبيبته ماتت. كان شكسبير يعقد آمالاً عظيمة على الحب، ويبدو أن آماله خابت. وأستطيع أن أقول بأنني أفهم ما جاز به من خيبة، فلي تجربتي الشخصية المماثلة.

كنت أبحث – ولمدة خمسة وعشرين عاماً – عن ما هو دائم ومُشبع في الشعر أو الفلسفة أو في العالم بمباهجه وتحدياته الفكرية، فكنت كلما نظرت إلى تلك الأشياء أكثر، كلما ازداد جوعي. لم أكن أعرف عما أبحث، وعندما أعلن اللَّـه نفسه لي وعمَّدني بالروح القدس، عرفت فوراً أن ذلك ما كنت أسعى إليه طوال الوقت. لقد ترددت على الكنيسة عشرين عاماً، ولم يخبرني أحدٌ عن ذلك!

والآن، دعوننا نتأمل ما يحدث عندما نحب الناس على طريقة اللَّـه لا على طريقة شكسبير. نقرأ هذه العبارة المذهلة في (رومية ٥:٥): **"وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي، لأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّـهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا."**

فالرجاء لا يخزينا، أي لا يخذلنا، وكذلك محبة اللَّـه، ذلك عندما يكون الرجاء والمحبة مثبتان في اللَّـه،لأن محبة اللَّـه بأكملها قد انسكبت في قلوبنا، فلم يمنع اللَّـه عنا شيئاً منها، بل أمسك وعاء محبته وسكب كل ما فيه علينا عندما عمدنا في الروح القدس.

في الحرب العالمية الثانية كنت ممرضاً تابعاً للجيش

البريطاني، وكان على أن أنتقل مع الفريق الطبي من مكان إلى آخر ولمدة أربع سنوات ونصف، كان معظمها في شمال أفريقيا ثم في فلسطين، بالإضافة إلى سنة في السودان.كانت المنطقة التي عملت بها في السودان منطقة جافة، بل صحراء قاحلة. لم يكن ذلك جذاباً بالنسبة لي، ولم أجد في أهل السودان أو في طبيعة حياتهم إلا ما هو غريب عليَّ*. لكنني كنت قد تعمدت في الروح القدس، وكان اللّـه قد أراني أنه أعدَّ خطة لحياتي، وهكذا بدأ اللّـه يملأ قلبي بمحبة فائقة لأهل السودان. بعد ذلك، نقلني الجيش إلى "عطبرة" في شمال السودان، ملتقى السكك الحديدية. كنت مسئولاً عن مركز استقبال صغير للمرضى العسكريين. أتذكر أنَّ المركز كان يحتوي على ثلاثة أسرَّة، وكنت أعمل تحت إشراف طبيب مدني، فمن الناحية العسكرية كنت مسئولاً عن نفسي لأول مرة في تاريخ خدمتي العسكرية.

---

* هذا لأن المؤلف نشأ في بيئة مختلفة تماماً، فمن الطبيعي أن يستغرب طبيعة بيئة أخرى لم يألفها.

ولأول مرة أيضاً، كان لي سرير خاص أنام فيه، وكان في المركز – فوق هذا – مجموعة من ثياب النوم الناعمة الطويلة. وكنت قبل ذلك قد أمضيت ثلاث سنوات وأنا أنام بملابسي الداخلية، حتى سئمت من ذلك. وهكذا دللت نفسي بالإمكانيات المتوفرة، فكنت ألبس أحد ثياب النوم البيضاء الطويلة، وأنام على سرير.

في إحدى الليالي كنت مستلقياً على سريري، فحل الروح القدس عليَّ بينما كنت مستغرقاً في صلاة شفاعية من أجل شعب السودان. لم تكن لصلاتي تلك علاقة بمشاعري الطبيعية، إلا أنني لم أتمكن من النوم. لقد كنت مَسوقاً بقوة داخلية، ووجدت نفسي أصلي بمحبة فوق طبيعية، تسمو جداً على كل ما أستطيع تحقيقه بمنطقي الطبيعي وعاطفتي الشخصية.

في حوالي منتصف الليل، قمت من السرير وأخذت أسير في الغرفة. وفجأة انتبهت إلى أن ثوب نومي الأبيض كان يشع نوراً بالفعل! لقد أدركت بأنني – في تلك اللحظات الوجيزة – كنت ملتصقاً ومتوحداً مع الشفيع

السماوي العظيم، الرب يسوع المسيح!

فيما بعد نقلني الجيش إلى مستشفى صغير في منطقة نائية على إحدى الهضاب المحيطة بالبحر الأحمر، وكانت تعيش هناك قبيلة تتميز بعادات وتقاليد وبيئة وثقافة غريبة كل الغرابة عن ما اعتدنا عليه أنا وزملائي، حتى أن بعضهم شعر بالاستياء. أما أنا فقد أمضيت هناك ثمانية شهور، كانت من أجمل أيام حياتي وأسعدها، فلقد أعطاني اللَّـه أن أعبرِّ عن محبته من نحو أولئك الناس الذين يدينون بالإسلام، ونتيجة لذلك أعطاني اللَّـه امتياز أن أقطف أول الثمر في ذلك المكان، وعندما رحلت شعرت بألم شديد لفراق ذلك الصديق وذلك المكان.

لقد اختبرت – في تلك الفترة في السودان – مقياساً صغيراً من المحبة الإلهية المنسكبة، والتي هي محبة اللَّـه نفسه لشعبه السودان. لكنني أدركت فيما بعد بأن هذه المحبة لا تكتمل إلا بفيض محبة اللَّـه العاملة من خلال حياتي.

عندما قابلت زوجتي الأولى "ليديا" في فلسطين، ورأيت البنات اللواتي كنَّ تحت رعايتها، ملأ الرب قلبي ثانيةً بمحبة رائعة. في ذلك الوقت، لم نكن أنا و"ليديا" نفكر في الزواج مطلقاً، لكننا تزوجنا فيما بعد. لقد سكب اللَّـه في قلبي محبته الفائقة من جديد، لكن ذلك لم يكن كافياً ليجعل مني ذلك الإنسان الذي ينبغي أن أكون، لقد كنت أنانياً، حاد الطبع، ضيق الحلق، وعديم الإحساس.

وقد أدركت فيما بعد بأن اختبار انسكاب محبة اللَّـه رائع حقاً، لكن تكوين شخصيتنا يتطلب أكثر من ذلك. فاللَّـه ينقلنا إلى ما هو أعمق من الانسكاب فوق الطبيعي، إلى تشكيل شخصية تعبر عن محبته باستمرار. إنها عملية طويلة تتطلب طول أناة اللَّـه وصبره لكي يقودنا خلالها. وتلعب كلمة اللَّـه دوراً رائعاً أساسياً في عملية تشكيل الشخصية:

"مَنْ قَالَ قَدْ عَرَفْتُهُ وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ. وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقّاً فِي هَذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللَّـهِ. بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ". (١يوحنا ٢: ٤– ٥).

لاحظ أن هذه الكلمات تشير إلى كلمة اللَّـه مباشرة لا إلى الروح القدس، فالحديث لا يدور هنا عن اختبارٍ خارق للطبيعة، بل عن عملية تشكيل تدريجية ثابتة، تتمّ من خلال الطاعة المستمرة لكلمة اللَّـه. فإذا أطعنا الكلمة المكتوبة، تأتي محبة اللَّـه فينا إلى النضوج والاكتمال يوماً بعد يوم.

ما قرأناه في رسالة يوحنا الأولى يعتبر وجهين لعملة واحدة: أولهما أن برهان محبتنا لله هو طاعة كلمته، فمن غير المُجدي أن نقول بأننا نحبه إن كنا لا نطيع كلمته. أما الوجه الثاني فهو أن اللَّـه – أثناء طاعتنا لكلمته – يعمل على تفعيل وتكميل محبته في شخصياتنا.

وتمر عملية إنشاء وتشكيل شخصياتنا في سبع مراحل متتالية، حسب ما كتبه الرسول بطرس أنظر(٢ بطرس ١: ٥ – ٧). فلنبدأ بالأساس:

"ابذلوا جهدكم لتضيفوا الفضيلة إلى إيمانكم" (الترجمة العربية الجديدة، المشتركة*).

الإيمان هو نقطة البداية في كل ما يعمله اللَّـه، ولا توجد نقطة انطلاق أخرى غير الإيمان. لكن هناك بضع خطوات أخرى في عملية تطوير الشخصية، فإلى الإيمان الذي نقبله من اللـه نضيف الفضيلة.

"... والمعرفة إلى فضيلتكم، والعفاف إلى معرفتكم، والصبر إلى عفافكم، والتقوى إلى صبركم، والإخاء إلى تقواكم، والمحبة إلى إخائكم" (الترجمة العربية المشتركة...).

(١) **"... لتضيفوا الفضيلة إلى إيمانكم"**. والفضيلة هي الترفع والانفصال عن كل ما دنيء، وهي صفة المؤمن الحقيقي. لا تسمح لنفسك بأن تتدحرج منزلقاً في الوحل مهما كان السبب. إن كنت تعمل

---

* اعتمدنا الترجمة العربية الجديدة (أو المشتركة) في هذا النص لأنها الأقرب إلى توضيح فكرة المؤلف.

بواباً قبل الإيمان، فكن بعد إيمانك وخلاصك بواباً أفضل، إن كنتِ معلمة فكوني معلمة أفضل، إن كنت موظفاً كن موظفاً أفضل، وإن كنتِ ممرضة فكوني ممرضة أفضل. أضف الفضيلة إلى الإيمان.

عملت مديراً لكلية تأهيل معلمين في كينيا لمدة خمس سنوات، وكان هدفي الأساسي هو ربح الكلية للمسيح. وعندما كانوا يعترفون بالمسيح ويعتمدون بالروح القدس، كان بعضهم يقول: "الآن ستتساهل معنا، وتخفف الأعباء علينا، فقد صرنا مسيحيين!" وكنت أقول لهم: "بل العكس تماماً، سأتوقع منكم الآن المزيد. إن كنتم تستطيعون أن تكونوا معلمين من دون المسيح أو المعمودية في الروح القدس، فأنتم تستطيعون أن تكونوا معلمين أفضل جداً مع المسيح وفي الروح القدس. لذلك، أنا أتوقع منكم الآن أكثر لا أقل."

لقد أكرمني اللّـه بسبب التزامي بالفضيلة؛ ففي السنة الثالثة تخرج سبعة وخمسون شاباً وشابة من الكلية،

وجميعهم اجتازوا الامتحانات النهائية في كل المواد بنجاح. وقد جاء ممثل دائرة التعليم في الحكومة الكينية وهنأني شخصياً،وقال: "لا توجد في جميع سجلاتنا ما يوازي هذا الإنجاز!"

كان ذلك لأنني تمسكت بمطلب كلمة اللّـه من نحو الفضيلة والتميُّز. لقد أثرت نتائج امتحاناتنا في مسئولي الدولة، أكثر من أية عقيدة أو تعليم كنا ننادي فيه. **فأن تكون مؤمناً لا يعطيك العذر للتسيُّب، بل إن المؤمن المُتسيب يعتبر منكراً لإيمانه.**

(٢) **"و(أضيفوا) المعرفة إلى فضيلتكم"**. ويشير هذا أساساً إلى معرفة إرادة اللّـه ومعرفة كلمته.

(٣) **"و(أضيفوا) العفاف إلى معرفتكم"**. والعفاف هنا هو ضبط النفس. فإن لم تتعلم كيف تضبط نفسك، تصل حتماً إلى مرحلة تتوقف فيها عملية بناء الشخصية. ويتضمن ضبط النفس كل ما يتعلق بمشاعرك وكلماتك وشهيتك وكل ما ينشئ فيك الدوافع والرغبات.

(٤) "و(أضيفوا) **الصبر إلى عفافكم**". والصبر يشير هنا إلى الدأب والمثابرة وعدم الاستسلام. وهنا أيضاً مرحلة لا يمكن أن تتعداها من دون أن تتعلم الصبر والمثابرة، وإلا، فستكون عرضة للاستسلام في كل مرة توشك فيها أن تنجز مرحلة من مراحل النمو.

(٥) "و(أضيفوا) **التقوى إلى صبركم**". والتقوى هي حساسية روحية بالغة منقادة بالروح القدس.

(٦) "و(أضيفوا) **الإخاء إلى تقواكم**." والإخاء هو المودة الأخوية (كما تبين ترجمات مختلفة)، والمودة أو المحبة الأخوية تتحول إلى شهادة مشتركة أمام العالم. يقول يسوع:

"**بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ**»." (يوحنا ١٣: ٣٥).

(٧) "و(أضيفوا) **المحبة إلى الإخاء**". إنها المحبة الإلهية وهي ذروة المراحل جميعاً. وتبدأ المحبة الإلهية عندما يسكب الروح القدس محبة اللّه في قلوبنا، وتأتي

المحبة إلى ذروتها من خلال عملية نمو شخصياتنا.

أما الفرق بين المحبة الأخوية والمحبة الإلهية فهي أننا، في المحبة الأخوية، نحب أخواتنا الذين يحبوننا أيضاً، وفي المحبة الإلهية،نحب أولئك الذين يكرهوننا، ويضطهدوننا، وهم – بمجملهم – لا يُحِبُّون ولا يُحَبُّون.

هذا يقودنا إلى قضيتنا الأساسية من جديد (الرفض). كيف تستدل على أنك شُفيت من ذلك الجرح؟ هل تقدر على منح المحبة الإلهية للشخص الذي رفضك؟ هل تستطيع أن تقول لوالدك الذي لم تشعر بمحبته أبداً بأنك تحبه؟ هل يمكنك أن تصلي من أجل شريكك السابق في الحياة الزوجية طالباً بركة اللّـه على حياته؟ إنها أكثر الأمور غرابة في العالم، لكن محبة اللّـه فائقة للطبيعة، أعلى من كل ما تنتجه مجهوداتنا الشخصية جميعها.

وقد يكون هذا أعظم بركات ما بعد الشفاء؛ فبعد أن تتحرر من مشكلة الشعور بالرفض، يمكنك أن تصبح إناءً فياضاً تفيض منه محبة اللّـه على الآخرين، على أولئك الذين جُرحوا أيضاً كما جُرحت أنت.